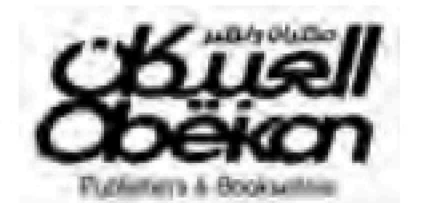
آندي بورفيتز

من حرّك صابونتي؟

دليل المدير التنفيذي للعيش في السجن

نقله إلى العربية

محمد شريف الطرح



Original Title:

Six Action Shoes

by:

Edward de Bono

ISBN 088730513X

المملكة العربية السعودية، شمال طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة، ص . ب . 62807 الرياض 11595

Obeikan Publishers, North King Fahd Road, P.O. Box 62807, Riyadh 11595, Saudi Arabia

الطبعة العربية الأولى **1426هـ ـ 2005م**

ISBN 9960 - 40 - 703 - 9

ح مكتبة العبيكان، 1426هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر


بسم الله الرحمن الرحيم



الموضوع	الصفحة



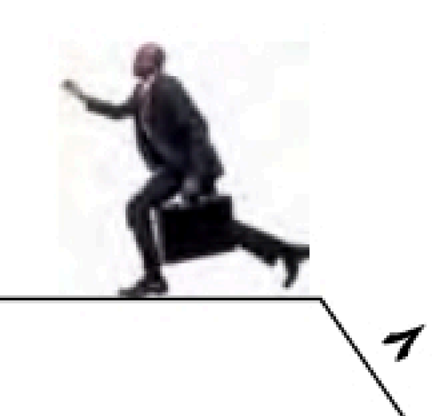


١

ارفع يديك في الهواء وابتعد عن مكتبك

إن كنت مديراً تنفيذياً محكوماً وتتجه إلى السجن للمرة الأولى في حياتك، اسمح لي بقول ما يلي:

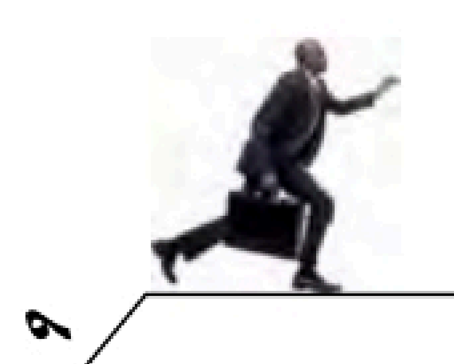
يجب أن تأكل وتمتلئ. فقد تكون الرحلة إلى السجن أفضل انتقال مهني تقوم به أثناء حياتك كلها، إذ بعد بضعة أسابيع تقضيها خلف القضبان، فإنك ستلوم نفسك لأنك لم يحكم عليك قبل ذلك.



هل أنت مندهش؟ ظننت أنك ستندهش. فقد تشارك في الاعتقاد بالحكمة التقليدية القائلة: إن الحكم بالسجن نوع من العقوبة، أو مصير يتعين على المرء تجنبه مهما بلغت التكاليف. حسناً، لن تراني أقطع ذلك الهراء. إذا سمعت النصيحة البسيطة الموجودة في هذا الكتاب، فإنك ستكتشف ما يعرفه جميع المديرين التنفيذيين المحكومين في جميع الأنحاء الآن: إذا كان الوقت هو المال، فإن الوقت الصعب هو عملة صعبة.

هل مازلت تتمتع بالعون السهل وتشرب المرطبات؟ إذا لم تكن كذلك، فربما تغير بضع أفكار رأيك:

بسبب السيل العارم من فضائح الشركات فإن المديرين التنفيذيين السابقين ينهالون على السجون الأميركية بأعداد قياسية، فهذه الحركة هي أكبر هجرة يقوم بها المجرمون ذوو الياقات البيضاء إلى السجون منذ سقوط إدارة الرئيس نيكسون. خلال السنوات الخمس القادمة سيحكم على واحد من كل أربعة مديرين تنفيذيين في أمريكا ويساق إلى السجن، بينما سيهرب واحد آخر من كل أربعة إلى خارج الولايات المتحدة بطائرة صغيرة ذات محرك واحد وقد علق نقوداً ذهبية على ثيابه الداخلية كما خاط الألماس الذي لا يقدر بثمن عليها أيضاً. كما يقوم واحد آخر من كل أربعة بعقد صفقة يقر فيها بذنبه فيشق بذلك طريقه للقيام بخدمة مدنية مثل تعليم شباب مركز المدينة ورجاله كيفية تدمير الوثائق التي تثبت الاتهامات وكيف يزيفون تأسيس شركات وهمية.



لكن ذلك يترك عدداً كبيراً جداً من المديرين التنفيذيين يسبحون عكس التيار - وهذا خبر جيد بالنسبة لك، لأنك لن تكون وحيداً أبداً. إذا نظرت يمنة ويسرة عند دخولك السجن فإن احتمال أن تجد واحدا من أصدقائك في صف إدارة الأعمال يزيد عن خمسين بالمائة، ويزيد هذا الاحتمال عن ذلك إذا كنت درست في هارفارد. كشفت دراسة حديثة عن تخلف بناء السجون في الولايات المتحدة بالنسبة لزيادة الأحكام على المديرين التنفيذيين، وعند نهاية هذا العقد سوف يكون ما يقارب مائة ألف مدير تنفيذي وراء القضبان - أي ما يزيد عن عدد الذين ينتظرون الفيلم الآتي لميغ ريان Meg Ryan بعشرة آلاف مرة.

هل يغير السجن هؤلاء المديرين التنفيذيين المسيئين؟ مع انقضاء كل يوم، يعيد هؤلاء «البرابرة عند البوابة» اكتشاف السجن كما نعرفه، إذ يرفعون أنوفهم نحو تلك الأهداف البالية «للسجن» على أنه «إعادة تأهيل» وأنه «دفع الدين للمجتمع».

لم يبعدهم وضعهم في الزنزانة عن التفكير في خارجها بل بعيداً جداً عنها. عندما يستيقظ مدير تنفيذي مسجون صباحاً، فإنه لا يرى الجدران الإسمنتية، ولا الأسلاك الشائكة ولا الكلاب البوليسية الشرسة - إنه يرى مكاناً مثالياً لتطوير عمل جديد بعيد عن عيون هيئة الأسهم والعملات المحدقة، ووزارة العدل.

نزيل السنة الماضية كان دائم البحث عن عراك وشجار؛ أما المدير التنفيذي المحكوم اليوم فإنه يبحث عن التميز.



لذا قبل أن تتجه إلى السجن تغلب على الخرافة حول السجن التي أكلتها العثة. فإن كنت ذكياً ولماحاً - وحقيقة أنك اشتريت هذا الكتاب علامة جيدة على ذكائك وفهمك - فإنك ستخرج من زمانك أكثر إنتاجا وأكثر تجديداً وأكثر ثراء بملايين الدولارات مما كنت عليه في اليوم الذي فتشك فيه حارس السجن بحثاً عن البراغيث.

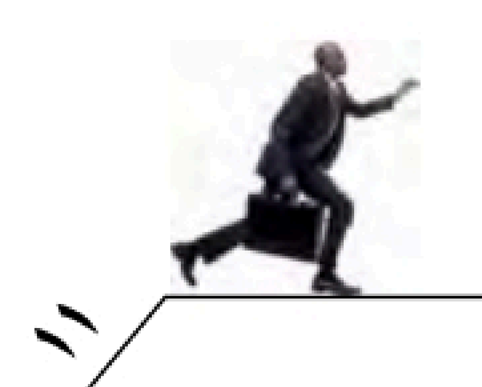
ألا تصدق ذلك؟ إنني أعرف بما تفكر: فما أنا إلا شخص ناعم، هدفي الأول أن أبيعك قائمة من السلع وأن أخرج لصاً قاطعاً للطرق.

حسناً، خمن مرة أخرى: إنني مدير تنفيذي محكوم أيضاً.

هذا صحيح. فأنا لست مجرد مدير تنفيذي ألقي القبض عليه متلبساً بسرقة الحلويات من الوعاء أيضاً.

في السنة الماضية وحسب، سماني فوربيس (Forbes) واحداً من أوائل قائمة مؤلفة من مائة مدير تنفيذي محكوم. ووضع صورة الشرطِي المكشر على جلد كتابه القدير. نعم، أعطاني فوربيس ما أستحقه، وفي مجموعة الأخوة المختارة من المديرين التنفيذيين المحكومين، لا يوجد ما هو أفضل من ذلك.

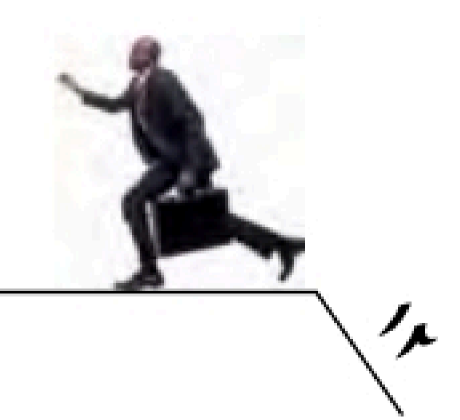
أعتقد أنك لا تزال تساورك الشكوك. إنك تقول: «لو كان شخصية هامة جداً كما يدعي، لماذا يكلف نفسه عناء كتابة هذا الكتاب؟» وكلماتك هذه بطيئة بسبب الخلطة من المهدئات التي تتناولها منذ أن أعلن الحكم عليك. مع ذلك، إنه سؤال جيد ويستحق إجابة جيدة - وهذه المرة لن آخذ التعديل الدستوري الخامس، وذلك من أجل التغيير فحسب.



قبل أن أتخذ مكاني في الباص المسمى «الباص الكلب» إلى السجن لأول مرة، مقيداً إلى ذراع شخص محكوم عليه، وعلى ظهره وشم صورة «حقائق الحياة»، قمت بزيارة مكتبة محلية آملاً أن أجد بعض الكتب والمراجع التي قد تساعد في حالة انتقال مدير تنفيذي من كونه مديراً تنفيذياً إلى كونه نزيلاً في زنزانة مغلقة. ما الذي وجدته هناك؟ كتب لتعليم الطبخ، وكتب حول القطط. وكتب أشعار كثيرة لمغني البوب (جويل)، وكلها مختصرة جذريا. لكنني لم أجد أي كتاب يُحَضِّر المدير التنفيذي السابق لإقامته في السجن مع أن المديرين التنفيذيين يمثلون أكبر نسبة متنامية من جمهور القراء اليوم. فأقسمت جهد أيماني على أن أصحح هذا الوضع الكئيب عندما أكد لي المحامي أن الآلاف من المساهمين الذين تقدموا بدعاوى ضدي لن يتمكنوا من المطالبة بأي جزء من حقوقي كمؤلف. ثم انكببت على الكتابة.

إن كتابة كتاب في السجن ليست بالأمر السهل. فعندما صرخ النزيل في الزنزانة المجاورة بأعلى صوته «اضغط سريرك يا شاب!!!»، لم أستطع أن أطلب منه أن يخفض من صوته؛ وعندما سقط القلم من يدي على الأرض، خفت أن ألتقطه. لكنني بطريقة ما سيطرت على الوضع وها أنت تمسك بثمرة جهدي بيديك المرتجفتين والمبللتين بالعرق.

إذا كنت مديراً تنفيذياً وتم القبض عليك، فهذا هو الكتاب الوحيد الذي لا تريد أن تعتقل بدونه. آمل أن يكون هذا الكتاب مفيداً وأنت تبدل الطقم المخطط طولياً بالثياب المخططة عرضياً. وأرجو أن يكون



طول هذا الكتاب كافياً يجيب عن كل أسئلتك، وأن يكون قصيراً يجتذب انتباهك، بل ويكون سميكاً يمكنك من تفريغه وحشو سلاح صغير فيه. اقرأه وأدرسه وتعلم منه - وحلفتك بالسماء ألا تتصفح محتوياته وحسب. وبعد كل شيء إنك لن تذهب إلى أي مكان.

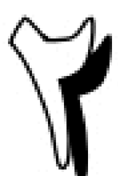
سجن لوماكس في الولايات المتحدة الزنزانة مجمع ستة

لوماكس، ألاباما

كانون الثاني ٢٠٠٣



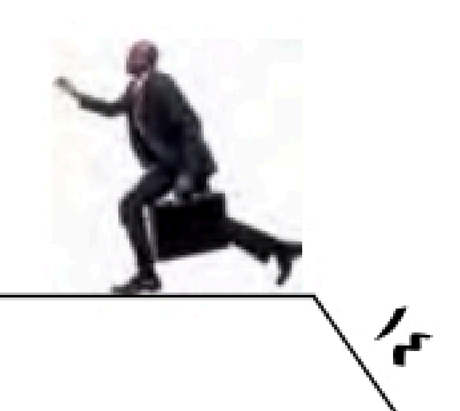




من المكتب الكبير إلى السجن الكبير

إليك حزورة صغيرة. من القائل «أنا بريء يا رجل. لقد ورطت. ومن يقول غير ذلك سأركله على قفاه».

إن كانت إجابتك: كينيث لي Kenneth Lay، المدير التنفيذي السابق لشركة إينرون Enron، فإجابتك جيدة – لكنها بعيدة ما يقارب الميل.



حقيقة، أخبرني بذلك زميلي في الزنزانة، وهو مجرم محترف يدعى سنيك Snake (وهذا ليس باسمه الحقيقي). فقد أعلن سنيك براءته لحظة دخولي الزنزانة في المجمع ستة، وسنيك شخص قوي البنية وعضلاته مثل آرنولد شوارزينجر Arnold Schwarzenegger الجبار والصلب، ولا يمكن أن يخلط بيني وبينه من حيث ملامح الوجه مثل جوان كولنز الكبير Joan Collins؛ بالواقع يتحدث سنيك عن براءته كما يتحدث مدير تنفيذي عن مجموعة الصعاب. اشتهر سنيك بسلسلة كبيرة من سرقة السيارات، وعمليات سطو مسلح ومجموعة متنوعة من الاحتيال تعود إلى عشرين سنة. ولما سألته من هو صاحب المصلحة في إسناد هذه الجرائم إليه، نظر إلي سنيك نظرة كما لو أنني شخص أحمق وقال: «امرأة تدعى فاي رزنك» (Faye Resnick) ورأيت أنه من الأفضل أن لا أخوض في الموضوع أكثر من ذلك.

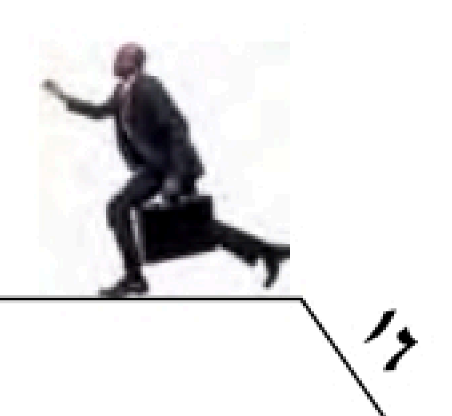
وليس سنيك هو الوحيد الذي يشتكي من أن النظام القضائي قد ظلمه. فكل من قابلته هنا من المديرين قد احتجوا احتجاجاً شديداً منذ قدومي إلى هنا، كما يؤكد كل منهم براءته وأنه غير مسؤول عما نسب إليه مطلقاً وأدخل السجن بسببه. عندما أستمع إليهم وهم يتابعون هذا المنحى، وهم يفعلون ذلك، يجب أن أقر هنا بأنني أشعر أني وحيد هنا- لأنني على النقيض مما هم عليه، فأنا بريء حقاً ولم يكن خطأي أنني هنا.

يحتمل أنك لا تعرف سلسلة الأحداث السيئة التي أدت بي إلى الزنزانة في المجمع رقم ستة إلا إذا كنت مشغولاً جداً في الهرب من السلطات وقراءة الصحف. لم تستطع أي فضيحة حديثة في شركة أن

تحجب الانهيار الرهيب والإفلاس الكبير في الشركة التي كنت أرأسها، وهي عملاقة في مجال الطاقة والاتصالات والصيدلانيات، وتدعى شامكو العالمية (Shamco International). لستُ واحداً من أولئك الذين ينبشون في التاريخ، ولستُ من أولئك الذين يتمتعون بإعادة القصة بأشكال جديدة، وقد أعطيت فيها دور الشخص الحقير ظلماً. ولكن لأن مصداقية هذا الكتاب تعتمد اعتماداً كلياً على مصداقية مؤلفه، فإنني أشعر أن علي أن أقص عليكم القصة كما أراها، وبالمناسبة، إنها الحقيقة - بغض النظر عما أجمعت عليه هيئة المحلفين.

بعدما أسست شركة شامكو (Shamco) في عام ١٩٧٧ مع شريكي في ذلك الوقت، رجل المال الشهير على مستوى العالم فيكتور م سوريان (Viktor M. Saurian)، وهي عبارة عن ثلاث شركات صغيرة: كليبتوكوم (KleptoCom)، لارسينكس (Larcenex)، فانجيبل داتا (Fungble Data)، كسبت أنا وفيكتور من خلال سلسلة صفقات معقدة بالأسهم والبورصة، ومن خلال عمليات تحكيم لُعِبَتْ جيداً، وعملية بيع ناجحة طُبِخَتْ جيداً. ولم يكن دمج هذه الشركات الثلاث بالعمل الصغير لاسيما أن واحدة منها، وهي كلبتوكوم، تَبَيَّنَ أنها غير موجودة أصلاً.

في البداية كان العمل بطيئاً يكاد يسير، وكان علينا أنا وفيكتور أن ندفع الأجور والنفقات العامة، وأخيراً نقلنا مكاتبنا من مطعم آرثر تيتشر للسمك والبطاطا في دايتون في أوهايو، إلى حجرة تصوير تفتح ليلاً ونهاراً في وسط مرآب سي في إس للسيارات. ولكن قبل أن تقول (داوجونز ٣٠٠٠٠) كنا قد أنهينا الأعمال الصعبة على نطاق كبير:

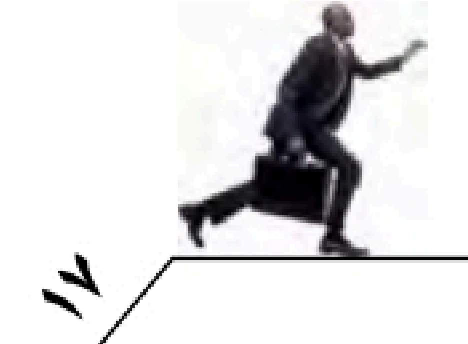


شامكو أصبحت أسعار أسهمها تحلق عالياً في أواخر التسعينيات، حتى أنها جعلت الشركات المفضلة في وول ستريت تبدو أقزاما كما في الموقع والهاتف: (CATFOOD Tubesocksbymailm.com - ٨٠٠-١).

بعد تدفق الثروة الورقية نقلنا إدارة شركتنا من دايتون إلى شريط لاس فيغاس، وتابعنا كسبنا الصاخب، واستثمرنا في الأعمال التي تذهب بعيداً مثل البقر المعدل وراثياً وزواج ليزا مينيللي (Liza Minnelli). وأخيراً نمت شامكو كما تنمو الطحالب المقاومة للمبيدات الحشرية والجراثيم وضمت عشرين شركة أخرى وستة أعضاء من الكونغرس في الولايات المتحدة. وفجأة أصبحت أنا وفيكتور مرهوبي الجانب ومحسودين ونتمتع بجاذبية جنسية. فعندما ارتفعت أسعار أسهمنا عالياً إلى معدلات متزايدة زيادات كبيرة جداً، كنت أقرص نفسي كثيراً حتى إنني استأجرت شخصاً يحمل إجازة من جامعة ستانفرد في الإدارة العامة، وكان عمله أن يقوم بقرصي فينقذني من المهمات الصعبة، مثل: التخطيط الاستراتيجي، وحضور مزادات السيارات القديمة.

ولكن كما قال أحد الحكماء مرةً: «لا شيء يدوم إلى الأبد» فإن شامكو، مع الأسف، كانت واحدة من تلك الأشياء التي لا تدوم.

لن أنسى ما حييت اليوم الذي انهارت فيه شركتنا العملاقة، التي نمت بجهودنا وبأموال الآخرين، كما ينهار بيت من أوراق اللعب.



كنت في جزيرة كابري أحتفل بعيد ميلاد عروسي الجديدة كونسبيكوزا فون مامون، وهي ملكة جمال بينيلوكس السابقة، التي قابلناها أنا وفيكتور قبل أسبوعين، عندما أحضرت إلى طاولتنا صحن التورتيلا في مطعمنا المفضل القريب من شركة شامكو وهو «السينيور ويغلز غرل أند بار». لن أدخل في التفاصيل المطولة لمغازلتنا وخطوبتنا: لأنه لم يكن هناك الكثير. ففي اللحظة التي رأيت فيها كونسبيكوزا أحببتها بقوة وجنون لأول مرة في حياتي.

وأصبحت زوجتي الثالثة بعد أسبوع من ذلك.

في نهاية الأسبوع الذي بلغت فيه كونسبيكزا عامها السادس والعشرين، أخذت بطريق الجو ألفين من نواب رئيس شامكو الكبار في رحلة إلى كابري دامت ثمان وأربعين ساعة، أمضوها في الشرب والتعرض لأشعة الشمس، وأخذوا حقناً من البوتوكس، وأكلوا ما لذ من الطعام الشهي الذي تتلمظ له الشفاه، وكذلك «الأجنحة المبهرَّة والحارة...» في محطة للطعام ليس فيها من الأشخاص إلا الملكة إليزابيت الثانية. (إنها لا تقيم حفلات كثيرة لمناسبات الشركات، لكنها تحضر ما دمت راغباً في دفع رسوم ظهورها وفاتورة غرفة خدمتها، ويبدو أن السيدة قد مرت بكل ما على المائدة وكأنها لم تأكل خلال سنة). وكان في خدمة المديرين التنفيذيين السكارى رجالٌ عراة تلمع أجسامهم، إذ إنها دهنت بالبلاتين عيار ٢٤ قيراطاً. وأقيمت منحوتة من الجليد طولها عشرة أقدام (الصرخة) للفنان إدوارد مونش، ومنها تدفق الشراب كالبلور من فتحة الفم المخيفة. وبعبارة واحدة، كان الحفل سيداً.

ولكن عندما اقتربت ليلة الأحد من نهايتها، وغنَّى أكابر شامكو العالمية، وأذكاها الأغنية الخالدة «هابي بيرث دي» لكونسبيكوزا - بقيادة سيلين ديون (Celine Dion) ولوشيانو بافاروتي (Luciano Pavarotti) وعدد من الشخصيات الرئيسية من غو غو دولز (Goo Goo Dolls)- تلقيت مكالمة على هاتفي الجوال غيرت حياتي إلى الأبد.

قال الشخص الموجود على الطرف الآخر من الخط: «هنا إس إي سي». (هيئة السندات والعملات) فصرخت جاهداً لأسمع، فقد كان بافاروتي يقول بصوت عال: «آه»، لأقول: من هو هذا الجذاب الذي يكلمني؟

رد: «نحن إس إي سي، نود أن نطرح عليك بعض الأسئلة».

انسحبت من سروري الذي يغذيه الصفاء، وأشرت على المتكلم بأن يتحدث مع مجلسنا العمومي، الذي كان في تلك اللحظة يرقص رقصة اللمبادة - وهي الرقصة الممنوعة - مع الساحر ديفيد بلين (David Blaine)، وهذا إضافة متأخرة على قائمة وسائل التسلية الطويلة أصلاً. ألقيت بهاتفي إلى الموقد، وانطلقت لآخذ طائرة الكونكورد الخاصة بشامكو وأتجه إلى فيغاس أسرع من واين نيوتن Wayne (Newton) مع رهن آخر لأدفعه.

بعد دقائق من هبوط الطائرة قي نيفادا، نقلني سائقي كاتو (Kato) بسيارتي الليموزين إلى مبنى شركة شامكو، حيث قمت على الفور بإتلاف سبعة عشر ألف صفحة من الوثائق ذات الحساسية المالية العالية، بواسطة آلة إتلاف ورق مصنوعة بناء على الطلب ومزودة

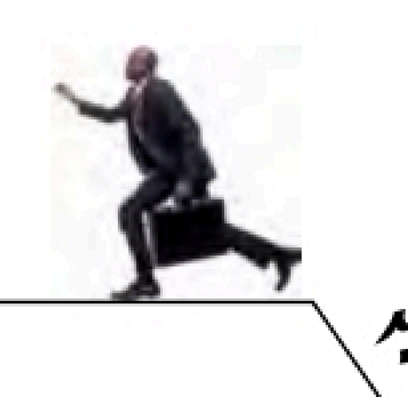
بطاقة نووية، وكنت قد اشتريتها لمحاولة كهذه. ومخترعها عبقري سابق من مايكرو سوفت، وكان قد طرد من شركة ريدموند (Redmond) عندما سخر من شكل رأس ستيفن بولمر (Steven Ballmer)، وكان قد وعدني بأن هذه الآلة المعجزة، تستطيع إتلاف دليل الهاتف لمدينة شانغهاي في٣,٤ ثانية وهو رقم عالمي جديد.

لم يكن الشخص يسخر مني. بعد لحظات فقط من تشغيلها بدأت آلة إتلاف الورق تلتهم الأعوام المالية ١٩٩٨ و١٩٩٩ و٢٠٠٠ بسرعة كبيرة جداً. وقامت بعمل قليل لكنه مدمر، وذلك بإتلاف رسالة كنا تلقيناها من وكالة الأغذية والأدوية، وترفض فيها الدواء «فوليكيور Follicure» المضاد للصلع؛ لأن هذا العقار لم يفشل في إنبات الشعر وحسب؛ بل سبَّب أعراضاً جانبية، تذكِّر بأعراض مرض التوريت*. ابتلعت الآلة المذكِّرة الملعونة، التي أرسلها المدير المالي إلى مدير مدرسة حضانة في لاس فيغاس، ووعده فيها بأن تمول شركة شامكو عرضاً فنياً موضوعه موسيقا «برودوي» يكون فيه المديرُ نفسهُ بطلاً، مقابل قبول مدرسة الحضانة لتوائم المدير الأربعة.

ولكن عندئذ سمعت صوت تمزيقٍ، لن أنساه أبداً، لقد سحبت الآلة كمَّ القميص الرسمي «ماركة كينيث كول» بواسطة فمها الشره، الذي يشبه فكي حيوان بحري مفترس، ولم تقبل أن تدعني أذهب. عند هذه النقطة التي تثبت التلبس وصل سبعة وعشرون شخصاً من مكتب التحقيقات الفيدرالي إلى المكتب، والتقطوا كل شيء على شريط فيديو، الذي تبيَّن فيما بعد بأنه قليل العون خلال مرحلة إصدار الحكم في محاكمتي.

* مرض نادر أعراضه عدم التحكم بالنطق.

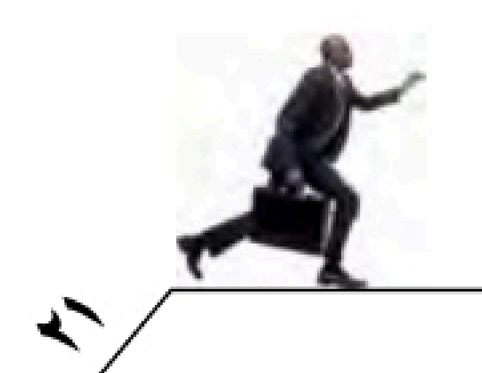
*



سأفاجأ إن لم ترني أمشي فيما يسمونه «المشي التحضيري»، لأن القنوات الرئيسية كافة، مثل: سي إن إن، وسي بي سي، بثته على الهواء مباشرة، وكذلك لأسباب لم تتضح لي بعد بثتها قناة الأحوال الجوية!!.

بعد يومين فقط من محاولة الآلة خلع ذراعي، وجهت وزارة العدل إليّ ١٧٠٢ اتهاماً، وهذا علامة كبيرة لاتهام بالقتل ذي دوافع سياسية. قبل اثني عشر شهراً رحبت بي مجلة «بزنس ويك» لكوني الرأسمالي الحلم الذي يعيد اختراع شكل الشركة الأميركية؛ لقد تحولتُ الآن إلى الضحية المناسبة لاقتصاد ضعيف فجأة. نعم كنتُ العلامةَ السهلة، والشخص الذي تحمَّل ذنوب المذنبين الحقيقيين: السيد آلان غرينسبان وطاقم عمَّاله غير الأكفاء، الذين لا يفعلون شيئاً في واشنطن العاصمة، سوى تفريغ ثياب العابثين، بينما كان مؤشرا داو DOW ونازداك NASDAQ يحترقان.

اقتادني ثلاثة حراس أشداء من حراس وزارة العدل مقيداً من بيتي في ضاحية «إكزانادو»، بينما كانت زوجتي الحبيبة «كونسبيكوزا»، التي كانت تستعد لموعد لنزع الشعر الزائد، تنظر إليَّ نظرة شجاعة قدر ما استطاعت، بينما كانت دموعها تسقط من وجنتيها لتشهق بها. كان بيتنا ذا مساحة تبلغ ٨٧٠٠٠ قدماً، وفيه كل شيء مصنوع بحسب رغبتنا؛ كميزان الحمام الذي كلَّف ١٩٠٠٠ دولار، وجهاز التحكم عن بعد المرصع بالزمرد لجهاز الفيديو الذي أصبح يغذي الفكاهة الشريرة والطفولية لجاي لينو Jay Leno وديفيد ليترمان David Letterman.

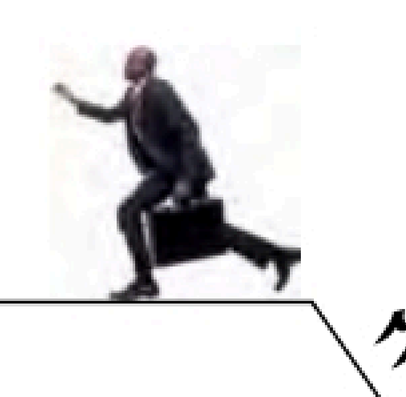


وفي مقالة هجائية في جريدة «نيويورك تايمز» ذكرت شامكو بأنها «أكبر عملية نصب وسلب ارتكبت في الولايات المتحدة الأمريكية منذ نشر فيلم سكوبي -دو».

في نهاية ذلك الأسبوع، وهو أسبوعي الرهيب، رُفعت ضدي عشرون ألف قضية أمام المحاكم، ونزع شعار شركتنا من أكبر ملعب لاتحاد كرة السلة، وهو ملعب شامكو، ولم يرد على مكالماتي الهاتفية من كان أعز صديق لي وهو ميك جاغر Mick Jagger حتى حينما أخفيت صوتي وقلدت صوت أجمل عارضة أزياء برازيلية.

لن أعدد مرة أخرى تفاصيل المهرجانات من ذكر الاسم والإشارة بالإصبع التي أشارت بها الصحافة إشارات ساخطة وناقمة إلى «محاكمتي». لكن هناك حقيقة واحدة يبدو أنها ضاعت في خضم ترويج الصحافة واندفاعها إلى محاكمتي. وقد اتُخذ القرار لتصريف أموال التقاعد في الشركة بشراء عقار إكزانادو بالمشاركة بيني وبين شخص وحيد لا يزال في بالي وهو: جون كيوشيرهلدر.

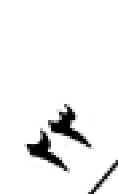
إن ما لم تستطع هيئة المحلفين في قضيتي أن تستوعبه هو الالتزام المعتمد لكل مدير تنفيذي ليعيش بمستوى لائق لمصلحة شركته. فالعيش كما يعيش الباشا هو السبيل الوحيد الذي يستطيع به أي مدير تنفيذي أن ينقل رسالة إلى وول ستريت بأن شركته مزدهرة وجديرة بأن تحظى بثقة مجتمع الاستثمار باستمرار. لوأنني تجاهلت هذه المسؤولية وسكنت في مزرعة متواضعة - لنقل ٦٠٠٠ قدم - ذات حمام متواضع وكذلك جهاز تحكم، لاعتبرها كل محلل للسندات لاسيما من يراقب



شامكو دليلاً على أن الشركة ليست على ما يرام في ميزانيتها. وبأسرع من قولك: إن موظفي الشركة ليسوا هنا ليعلقوا على الأمر» ترى أولئك المحللين قد شهروا سيوفهم التي لا ترحم على «لودوبس ماني لاين Lou Dobbs Moneyline» مقتطعين البلايين من رأس مال الشركة بمدة لا تزيد عن أجزاء من الألف من الثانية. وكي أمنع حدوث ذلك عشت بأفضل طريقة أحافظ بها على مسؤوليتي المسندة إلي، وذلك بأنني انتقلت مع زوجتي إلى أكبر مسكن وجدته في ولاية نيفادا. وماذا كانت مكافأتنا؟ بالنسبة لي بطاقة سفر بلا عودة إلى الزنزانة، وبالنسبة إلى كونسبيكوزا - حكم أسوأ من ذلك - إنها مجبرة على العيش وحيدة في عقار مساحته ٨٧٠٠٠ قدماً مربعاً - نعم، لنسمه سجناً - لا أحد معها سوى طاقم الخدم المؤلف من خمسة وعشرين شخصاً ومدرب التنس تشاد Chad ليرافقوها.

ليسمح لي كل من حمل أسهم شامكوسابقاً ويقرأ هذا الكتاب أن أقول هذا: إن كانت جريمتي أنني بذلت جهدي لأعتني عناية فائقة بوضعك المالي، وأن أبذل كل ما بوسعي لأحافظ على قيمة أسهمك في شامكو وحساباتك ٤٠١ ك، فإنني أقف أمامك اليوم لأقر بأنني مذنب بهذه الاتهامات.

ومع أنني لم أرتكب أي خطأ، فإن معرفتي بأن مئات الآلاف من مستثمري شامكو قد فقدوا ٣٤,٦ بليون دولار قد جنوها بالعمل المرهق ستلاحقني طيلة حياتي ولتملأ ساعات صحوي حزناً وندماً. وبقدر ما يبدو هذا الأمر شائكاً، آمل أن تكون كتابة هذا الكتاب،



بطريقة ما، مساعدة على الإصلاح والتعويض. من أجل هذا الهدف، أود أن أعطي لكل المساهمين في شامكو هذه الفرصة الفريدة لشراء هذا الكتاب مني بسعر خاص «خصم لمساهم» مقابل إسقاط دعواه أو دعاواه ضدي. آمل أن يجعل هذا العرض - بطريقة ما - عملية الشفاء تدور، ويسرني أن أشحن جميع الطلبات التي تبلغ عشرة كتب أو تزيد معفاة من أجور الشحن.







مبادلة مجتمع ذي بوابة بمجتمع مماثل

تصلني مكالمة هاتفية مرة في الأسبوع على أقل تقدير من زميل من شركة شامكو يسألني عن السجن وأحواله الحقيقية. وجوابي عن سؤالهم هو نفسه دائماً «إيه، إنك ستكتشف ذلك في وقت قريب». ويكون الرد اللبق على هذا الجواب السريع وهذه الحكمة صمتاً قاتلاً من الجانب الآخر ثم يُغلق الخط الهاتفي سريعاً، ولكنني كصاحب

مقالب أصيل لا أستطيع مقاومة قول هذه الإجابة، أعتقد أن بعض السجناء يفقدون روح الدعابة وراء القضبان. أما أنا فلست كذلك، فروح الدعابة أحد الأشياء التي تحبب لي العيش.

بما أنك مدير تنفيذي حُكم عليه مؤخراً، من المحتمل أنك تتساءل أيضاً عن الشكل الحقيقي للسجن، وتتساءل في الوقت نفسه ما الذي يجعلني مرجعاً في هذا الموضوع. لقد قلت لك إنني أكتب هذا الكتاب من السجن، ولكنك قد لا تتصور أنني في السجن، أي السجن حقاً. أراهن على أنك تظن أنني أتسكع في أحد النوادي التي يسمونها سجون «نوادي البلاد» مثل «نادي الاتحاد» الأسطوري أحتسي شرابي من الكأس الكبير بينما أملي هذا الكتاب على كاتب الظل الذي يكلف مالاً كثيراً مثل نورمان ميلر أو جون ديديون أو من كتب كتاب تشارلز باركلي. ويُحتمل أنك تتصور مكاناً حيث تكون أشد العقوبات قطع الخدمة الممتازة عنك فترة بعد الظهر وحيث يقوم السجناء بأعمال الشغب عندما تنفد من الصالة مادة البيلوغا (الكافيار).

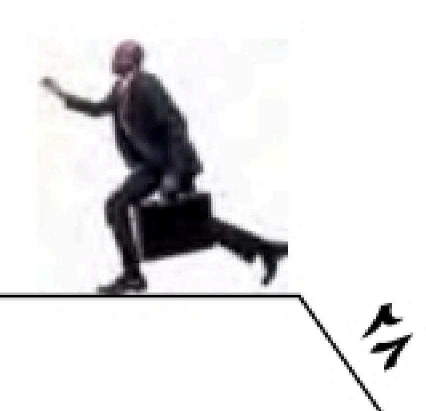
حسناً، اسمح لي أن ألقي عليك قنبلة: في الأشهر الستة الماضية، كنت أقضي مدة حكم في سجن لوكاس في ألباما في الولايات المتحدة، حيث إجراءات الأمن القصوى، كما وصفته تقارير الزبائن، دائماً، على أنه «أسوأ مكان في أمريكا تسجن فيه». عندما قرر أولئك السياسيون الانتهازيون الموجودون فيما يسمى بوزارة العدل أن يجعلوا مني مثالاً، فإنهم لم يوفروا لكماتهم. صدقني، لا يوجد ملعب للغولف في لوماكس، فعندما يلتقط أحد السجناء مضرباً فإنك ستركض كالمجنون. وأعمال



الشغب؟ في الأسبوع الماضي اندلع حريق حقيقي في المستودع، وحدث ذلك عندما تشاجر سجينان حول من مثل شخصية سكريتش في فيلم «أنقذه الجرس». مع أن أياً من السجناء لم يتحطم تماماً في أعمال شغب حلزوني، فإن بعضهم تعرض لأذى متميز، وهذا كما أرى من مكان جلوسي سيء بالقدر نفسه. بالإجمال، إن اعتقدت أن المساهمين في الاجتماع السنوي الأخير كانوا غاضبين، فإنك لم تزر سجن لوماكس.

إنني أذكر هذه التفاصيل لأثبت معرفتي بالحياة وراء القضبان وليس لأرسم صورة مخيفة عنها، فهذا كما يبدو من عمل هوليود. فالأفلام مثل «الميل الأخضر»، والبرامج التلفزيونية مثل: «أوز» قد شوهت صورة الحياة في السجن تشويهاً كبيراً تماماً كما بالغ فيلم «لحن الموسيقا» مبالغة طائشة في مواهب الغناء لدى الراهبات. فبالنسبة لهوليود، في اللحظة التي تصل فيها إلى ما وراء القضبان، يُقدم لك وجبات طعام لا تناسب سنجاباً وتُجبر تحت التهديد بسكين لتلبس طاقية بالية على رأسك، ويضايقك زملاؤك المسجونون بعضلاتهم، كما جرى في فيلم «Honey Baked Hams» وبكل ضبط النفس الذي مارسته مجموعة فتيات ناد لبنات الجامعة في ولاية جنوب فلوريدا في فيلم الفيديو «جن جنون البنات Girls Gone Wild».

ما مدى صحة صورة هوليود للحياة في السجن؟ ربما حان الوقت لتحري الواقع. في الشهور الستة التي أمضيتها هنا في لوماكس، هل طُلب مني أن آكل طعاماً مقززاً، أو أُجبرت على لبس طاقية بالية، أو هاجمتني مجموعات من المرضى الأشرار؟



للأمانة أقول: نعم لقد حصلت لي هذه الأمور الثلاثة في لوماكس. في الواقع، لقد جرت كل هذه الأمور في اليوم الأول هنا، وهو اليوم الذي لن أنساه قريباً. ومنذ ذلك اليوم ظلت هذه الأمور تتكرر وتتكرر بانتظام مدهش المرة تلو المرة. إن كان في ذلك درس ما، فإنني أعتقد أن حتى هوليود بكل تصويرها للحياة في السجن ومبالغتها تتوصل إلى أشياء صحيحة بين الحين والآخر.

كلما اقترب يومك الأول وراء القضبان يكون خيالك خصباً لسيناريوهات كوابيس وأحلام مخيفة ومتنوعة، وقد تجد النوم صعباً، وقد لا تجد متعة في أنشطة كنت تتمتع بها، كالدخول إلى مستودع الوثائق وأنت تحمل «مصباحاً» يعمل بالبطارية، والتخلص من الدافع القوي بدفنه حيث تدفن القمامة. فقد تملؤك هذه المناسبة بمشاعر رهيبة من الخوف من الأماكن الضيقة والمغلقة، فتذكرك بالوقت الذي نسي به ذلك الأرعن في قسم السفر أن يملأ طائرة شركتك بالوقود، فاضطررت أن تركب في الدرجة الأولى في طائرة شركة دلتا عوضاً عن ذلك. وقد يزعجهم أنك ستسجن بسبب الاحتيال والاختلاس لأن ذلك قد يؤذي فرصك لإدارة شركة فورتشن ٥٠٠ أخرى في يوم من الأيام. وقد تقلق بصورة خاصة من أن لا تصدقك لجنة المديرين في نادي اليخوت بأن تعلق عضويتك في النادي لأنك تنوي السفر لمدة خمس أو عشر سنوات تقضيها في حلبات الهوكي التاريخية في أمريكيا.

مرة ثانية، حان الوقت لتحري الواقع. في البداية لنلق نظرة على قضية «الحجز والحبس».

إذا وصفت لك شخصاً أمضى يوماً بكامله محجوزاً في غرفة واحدة لا يستطيع الخروج أو الدخول كما يشاء، فإنني أتحدث عن السجين بشكل عام في أحد السجون الاتحادية، صح؟

خطأ: إنني أصف مديراً تنفيذياً وصفاً عاماً.

فكر بالأمر: كم مرة في السنوات الخمس الماضية أخبرت شخصاً ما بأنك لم تستطع رؤيته (أو رؤيتها) لأنك «مرتبط» باجتماعات طول النهار؟ كم مرة ألغيت احتفالات بمناسبة ذكرى سنوية مع زوجتك، أو زيارة لوالدتك في مكان إقامتها في دار المسنين لأنك «عالق في مكتبك» أو «مقيد إلى طاولتك» ولم تتمكن من الهروب؟ كلما زاد تفحصك لنمط حياتك السابقة وأنت مدير تنفيذي، يزداد شعورك بالحجز أو «بما يشبه الحياة في السجن» التي عندما تتوقف لتفكر بها، يكون الأمر من سخرية الأقدار حقاً.

وعلى النقيض من حياة المدير المزدحمة والمغلقة تكون حياة السجين هي الحياة البعيدة عن الحجز والسجن. ففي السجن نادراً ما تكون في مكان واحد لفترة طويلة، ليس إن كنت تعرف ما هو خير لك. فبين صراخ الحراس «ألقها أرضاً، يا نقار الخشب»، وبين اقتراب السجناء منك وهم يحملون السكاكين والعصي، يتحول كل يوم في السجن إلى أعمال رياضية عنيفة تجعل البطل الخماسي الأولمبي ينادي يا عماه. فالجري وتحاشي الضربات ودفع القبضات والمسدسات المصنوعة محلياً. إن طريقة الحياة في السجن أكثر الطرق حيوية ونشاطاً. لست من الأشخاص لكنني أحب أن أراهن على أنك ستخرج من السجن بعد



انقضاء مدتك تحمل مؤهلات محددة وجسماً قوياً كالصخر وعضلات قوية تجعلك محط حسد الأشخاص ذوي أصحاب الكروش الذين كنت تعمل معهم في الشركة.

كيف بدأت خرافة أن السجن مكان حجز في المقام الأول؟ لا يعرف أحد ذلك بالضبط، ولكن قد يكون أصل الخرافة هو القول المأثور القديم: إن زنزانة السجن مكان صغير لا يتسع لأرجحة قِطٍ ميت فيه. أستطيع القول من خبرتي الشخصية: إن هذا الوصف أبعد ما يكون عن الحقيقة. فهذا المكان لا يتسع لأرجحة قط ميت فحسب، بل فيه متسع لأرجحة إطار حديدي داخله، كما أثبت زميلي في الزنزانة «سنيك» مراتٍ عديدة.

ما هي حقيقة الأكاذيب القديمة حول الحياة في السجن بأن النزلاء يعانون من صعوبة العزلة، وذلك لفصلهم عن أصدقائهم وأحبابهم فترات طويلة من الزمن؟ هنا توجد ذرة من الحقيقة، لكنها ذرة واحدة وحسب، صحيح، عندما تسجن فإنك لن ترى أسرتك سوى مرة واحدة في الشهر الواحد. لكن تلك المرة المحتملة في كل شهر هي أكثر مما كنت تراها عندما كنت مديراً تنفيذياً. أما الأقارب الآخرون، مثل أخي زوجتك الذي يطالبك دائماً بالمال ليبدأ موقعاً إباحياً لحيواناته، فإنه يسعدك ذلك الإطار الزجاجي الذي يفصلك عنه. أما السجناء، فكما ترى، ليس لديهم سوى الفرصة الوحيدة التي يضعون فيها أفراد عائلاتهم على وضع «الصمت» (فلا يسمعونهم)، وهذا رفاه لا يستطيع من يسمونهم «أحراراً» إلا أن يحلموا بمثله. وهذا، برأي، هو السبب

الذي يجعل المديرين يطالبون محاميهم أن يتوسلوا ويستأنفوا الحكم المدعو «اعتقال منزلي» بدلاً من أحكام السجن التقليدية وبذلك تفوتهم المتعة، فإن كنت سيحكم عليك بالسجن فترة طويلة من الزمن، فمن الأفضل لك حتماً أن تسجن في مكانٍ بعيد عن الأقارب من أن تسجن معهم.

والآن، ماذا بشأن الهم الذي يضايقك: وهو أن وجودك في السجن سوف يوثر عليك تأثيراً سلبياً نوعاً ما من حيث، كيفية نظر الناس إليك وتقديرهم لك خارج السجن؟ هذا الهم، كما يظهر، حماقة كبيرة أيضاً.

صحيح إن سمعة المديرين التنفيذيين قد تلقت ضربة قوية خلال السنة الماضية أو ما يقاربها؛ في الواقع، لقد حل المديرون التنفيذيون خلال عام ٢٠٠٢ مع المحامين في النُّكت والدعابات التي تداولها الناس على شبكة الإنترنت، لكن هذا الاتجاه لم يدم طويلاً ففي نهاية السنة حل رجال الدين محل المديرين التنفيذيين والمحامين في مثل هذه النكت والدعابات. يبدو اليوم أن احترام المديرين يعود لدى الجماهير. في الواقع، إن المديرين يخشون أن يكون الحكم بالسجن لعنة اجتماعية، لكنني أحاجج أنه بعيداً عن هذه المخاوف قد يكون الحكم بالسجن أحدث وأصح وضع رمزي في شركات أمريكا اليوم. وعلى نقيض الأوضاع المزرية العابرة مثل حجر الزاوية للوظيفة أو للقب خيالي، فقد يعيش الحكم بالسجن أحياناً عشرين سنة أو أكثر بل وربما إلى الأبد.

لماذا يكون الذهاب إلى السجن هو العلامة الأخيرة التي تصل إليها؟ إنها قضية منطقية بسيطة. إن محامي الادعاء العام، في سعيهم الدائم بحثاً عن العنوان التالي «الاعداد للسير»، يريدون أن يصطادوا السمكة

الكبيرة، لذا فإن حقيقة القبض عليك ووضع القيود في يديك والتوصل إلى الحكم عليك بالنصب والاحتيال هي الدليل النهائي على أنك سمكة كبيرة. فإن كنت مذنباً بمئات قضايا النصب والاحتيال، كما كنت أنا، فهذا ميزة أكبر لك.

فكر بالأمر. متى كانت آخر مرة رأيت فيها شخصاً من الإدارة المتوسطة يقوم بعرض أمام كمرات التلفزيون؟ طبعاً، الجواب مطلقاً. فكسالى الإدارة المتوسطة بما لديهم من أسهم ضعيفة وأعمال يومية متعاطفة ومعامل يمولها مساهمو شركة نيسان، هم السمك الصغير في عالم الشركات. فهم المقدر لهم أن يعيشوا حياتهم يائسين ومهووسين بمعرفة أن فرصهم لنيل حكم بسجن ذي سمعة كبيرة، مثلك، فرص تتراوح بين الصغيرة جداً والمعدومة. وهكذا يتبين أن الذهاب إلى السجن ليس مصيراً يجب تجنبه مهما بلغت التكاليف، ولكن عدم الذهاب إلى السجن قد يكون ذلك المصير.

الحقيقة التي يتناساها الناس على نطاق واسع هي أن المديرين التنفيذيين الذين كانوا الأسوأ حظاً في السنوات القليلة الماضية هم من لم يذهبوا إلى السجن، بل هم الذين، «لم يُتمكنْ من اعتقالهم». القضية في نقطة: «نيوترون جاك ويلش»، المدير التنفيذي السابق لشركة جنرال اليكتريك.

خلال مدة رئاسته لشركة جنرال اليكتريك أصبح أشهر مدير تنفيذي في أيامه، فقد ضاعف رأسمال شركته في السوق مرات عدة، وسيطر بذلك على عدد من الصناعات العالمية، بل وحصل على شبكة



إن بي سي التلفزيونية، موطن البرامج المشهورة مثل «أصدقاء» و«القانون والنظام» ذي الحلقات الست والثلاثين. أجل، لقد أوجد جاك ويلش في جنرال اليكتريك أشياء كثيرة وجيدة»، وماذا كانت مكافأته؟ عناوين مهنية في الصحف حول معاشه التقاعدي السخي، وقضيته مع محررة «هارفارد بزنس ريفيو»، سوزي ويتلوفر. من جهة اخرى، لو أن ويلش قد ذهب إلى السجن بدلاً من إحالته على التقاعد، لكان هناك قصة مختلفة اختلافاً كلياً. لو أصبح نيوتون جاك جاكاً جديداً، لما كان هناك حملات صحفية غاضبة ناشطة لمنازلته ومقارعته، ولكان التكاسل وراء القضبان سره الصغير وحده. نعم، كان يمكن أن تكون الحياة حلوة بالنسبة للسيد ويلش لو أنه ألقي به في السجن، ولكن لأنه لم يرتكب أي أعمال نصب واحتيال عندما كان مديراً تنفيذياً، لذلك لم تكن حياته كذلك.

إن الذهاب إلى السجن، إذن، يجمع مزايا عديدة ويمنحها للسجين، ولكن هل هذا هو تطور جديد حقاً؟ أبداً. بالنسبة لعدد من الشخصيات العظيمة في تاريخ العالم، كانت المدة التي أمضوها وراء القضبان هي السبب الوحيد الذي أعطاهم مكاناً حقيقياً على الخارطة.

فكر، لو شئت، بالماركيز دوساد (١٧٤٠-١٨١٤). فقبل أن يحكم عليه، كان الماركيز ارستقراطياً مغموراً صاحب ولع بالسياط وملاقط الحلم، وهو الذي بدا أنه مقدر له أن يلفه النسيان في حاويات غبار التاريخ. لكن ذهابه إلى السجن غيّر كل ذلك. إنه اليوم إلهام لفرع كامل من الشذوذ الجنسي إضافة إلى عدد كبير من النوادي الليلية في نيويورك

ولندن وعواصم عالمية أخرى. وعلى النقيض من الماركيز دوساد يقف مغني البوب ساد (١٩٥٩-) الذي لم يذهب إلى السجن قط، ولم يُسمع كثيراً منذ أغنياته الشهيرة في الماضي: «العامل الناعم Smooth Operator» و«حب غير عادي No ordinary Love». كيف تفضل أن يذكرك الناس؟ بحسب اهتمامي، ليس قريباً من ذلك حتى.

سأكون مهملاً إن ذكرت تفاصيل نشاطات السجن دون أن أذكر أعظم هدية يقدمها السجن إلى جميع المديرين التنفيذيين المحكومين: إنها هدية الوقت. هل تذكر كم مرة قلت فيها لنفسك، بالعودة إلى أيام الحرية، لو كان بمقدوري أن أقتطع سنة لكنت أقرأ الكتب العظيمة جميعاً: حرب وسلام، ومدام بوفاري، وتذكر أشياء من الماضي؟

حسناً، اضرب تلك السنة بالعدد خمسة أو عشرة أو كما في حالتي بالعدد خمس وثلاثين. في السجن ستجد وقتاً أكثر من كاف للقراءة إن لم تكن هذه الكتب الثلاثة، فقد تكون آلاف الكتب ذات البقع والعلامات والأوراق الناقصة التي تصطف على رفوف مكتبات السجون.

هيا قلها: حلو.





٤

حزم الأمتعة
من أجل السجن

إذا أنت أنهيت الفصل الأخير بكامله فيحتمل أن تكون قد نفضت عنك معظم مخاوفك من الذهاب إلى السجن الآن، وأنك مستعد طبعاً لباقي الصفقة، لا تزال لا تستطيع النوم طبعاً، ولكن ذلك ليس بسبب القلق والفضول، ولكن بسبب التوقع الصريح لما ينتظرك أمامك. حتى لباس السجن الموحد والقميء الذي اعتدت أن تخشى ارتداءه، إنه يبدو



الآن أكثر جاذبية وجمالاً من أي بنطال غولف تملكه. هل تتذكر كم كان سرورك عظيماً عندما سرقت ذلك اللقب الصغيرVP وفي بداية حياتك العملية في الشركة من تحت أقدام أعز صديق لك في المدرسة (ب)، وتركته يتدحرج إلى أسفل السلم الوظيفي اللولبي ولم يتخلص منه بعد؟ إن شعوراً بهذه العظمة لا يقارب زهوك بقوتك الآن.

بينما تقوم بتعداد الأيام عداً تنازلياً نحو بداية حكمك بالسجن، إنك تشعر بجسمك يرتعش بسبب الإثارة تماماً كما تشعر الفتاة الخجلى حين يقدمونها إلى المجتمع أول مرة. إنها مشاعر عادية جداً قبيل الذهاب إلى السجن، وتلازم هذه المشاعر بعض المساجين زمناً طويلاً بعد دخولهم السجن. ولكن دعنا نتقدم بأنفسنا. قبل أن تذهب إلى السجن يواجهك تحد كبير: كيف ستحزم أمتعتك؟

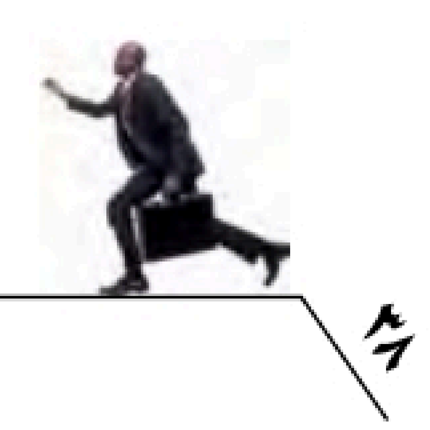
إذا سألت معظم الذين تكررت زياراتهم إلى السجن عن أهمِّ شيء ينبغي على السجين حزمه، يحتمل أن يعطوك إجابة واحدة وبكلمة واحدة هي «النار». ويقصدون بذلك طبعاً «سلاحاً نارياً». ومن يستطيع أن يلومهم؟ إنك طبعاً تحتاج إلى مسدسك عندما تذهب إلى السجن، وهو المكان الذي «تسبح فيه مع أسماك القرش» بالمعنى الحرفي للعبارة. وبالنسبة لأي شخص منكم يحلم بتهريب سلاح إلى السجن، ينبغي أن أحذره من أن معظم المديرين التنفيذيين ينتظرون فرصة أفضل لاجتياز فحص علمي يجري لكشف الكذب. ينبغي ألا تحاول أن تهرب أسلحة إلى الداخل لسببين اثنين: الأول: لأن جميع السجون الاتحادية مزودة بأجهزة لكشف المعادن مما يجعل أي محاولة لتهريب السلاح إلى داخل

السجن تؤول إلى الفشل؛ والثاني، لأن مثل هذه المحاولة الخطرة غير ضرورية أبداً، لأن الأسلحة من جميع الأنواع التي يتخيلها المرء رخيصة الثمن ومتوافرة وجاهزة حالما تكون وراء القضبان.

وهذا يعود بنا إلى سؤالنا الأصلي. إذا لم تحزم «سلاحاً نارياً»، فماذا ينبغي أن تحزم؟

لا بد أن يكون اسم «جيبو»، وهو جيم بيلسون، معروفاً لدى الكثيرين منكم. فقد كتبت عنه بعض العناوين القبيحة جداً في عام ٢٠٠١ عندما كان مديراً تنفيذياً في مجمع العناية الصحية «بينيفولا»، الذي تبين أنه يكتب نفقاته جميعها في الميزانية بحبر يختفي، وقد اكتشفت المحكمة ذلك كما اكتشف الموظفون الاتحاديون وهم يحققون بنفقات جيمبو البالغة ١١٠ مليون دولار بأنها مسجلة رسمياً في التقرير السنوي لمجمع بينيفولا تحت بند «لصاقات الإسعاف الأولي»، وقد أنفقت لتمويل شرائه لفيلا على الشاطئ في مدينة «كان»، وهي الفيلا التي كان يملكها الإمبراطور شارلمان. وتدهورت الأمور من سيء إلى أسوأ بالنسبة لجيمبو عندما كان يحاكم بتهمة الاحتيال فزعم أنه فقد مبلغ ٤,٦ بليون دولار بطريقة ما من أموال تقاعد العاملين في المجمع تحت شبك الموقد.

قابلت جيمبو قبل بضعة أشهر في ندوة كان موضوعها «أخلاق الشركات في باربادوس»، حيث سألني أسئلة ملحة نوعاً ما، كما أذكر الآن، عن محامين مختصين بالجريمة، وعن اسم حارس شخصي مسلح دائماً، وعن اسم جراح تجميل يُعتمد عليه ويقبل أن يقوم بعمل جراحي



على ظهر قارب في عرض البحر. وحتى هذا اليوم، لا يزال جيمبو يهز رأسه عندما يتذكر الأخطاء الذي ارتكبها وهو يحزم أمتعته ليقوم برحلته الأولى إلى السجن.

قال جيمبو: «حزمت أمتعتي وكأنني أذهب برحلة عمل».

إنه من السهل أن تسخر من ملاحظة جيمبو، فهذا أمر مسل. ولكن إنصافاً لجيمبو، يمكن القول: كان له عذران لسوء أفكاره حول حزم أمتعته من أجل السجن. العذر الأول: لم يكن قد دخل السجن من قبل؛ والعذر الثاني: كان يعاني من آلام في رأسه عندما جاء المساهمون قبل أشهر يحملون العصي وأغصان الأشجار ليتظاهروا أمام المجمع.

لكن جيمبو لم يكن وحيداً في هذا، فقد ارتكب جميع المديرين المحكومين «خطأ المبتدئين» الكلاسيكي عندما حزموا أمتعتهم من أجل الذهاب إلى السجن، وكأنهم يقومون برحلة عمل. ولكن انتبه، لم تكن رحلة عمل جيدة كخروج الشركة كل عام بنزهة للغولف في سكوتس ديل، لكنها رحلة عمل سيئة كتلك الروشة التي أقيمت تلبية لطلب SEC (لجنة الأسهم والعملات) في ترينتون والتي قمت بنسفها نسفاً حكيماً. وغالباً ما يشار إلى السجن على أنه «فندق القضبان الرمادية»، وقد يسهم ذلك في هذه الفوضى مما يجعل بعض المديرين يفترضون أن السجن سيقدم معظم تسهيلات الفندق إضافة إلى القضبان الرمادية. لكنني أود أن أؤكد هنا أن باحة السجن «جوليت» ليست باحة فندق ماريوت. فإنك لن تحظى بخدمة فتيات ولا بعطر النعنع الخفيف على الوسائد، ولا بعرض أفلام سينمائية لا تظهر فواتير الإقامة ويجب أن تنسى وقت الخروج والمغادرة.

عندما تحزم أمتعتك للذهاب إلى السجن، اسمح لي أن أقدم لك هذا الاقتراح المختصر. اكتب قائمة تشمل جميع الأشياء التي ترغب بأخذها. ثم قسّم تلك القائمة إلى ثلاث مجموعات: (آ) ضروريات، (ب) كماليات، (ج) السجائر. الآن اشطب بخط عريض كل المواد الموجودة في القائمة ما عدا «السجائر»، وتكون المهمة قد انتهت.

نعم، هذا صحيح. يمكنك أن تنسى كل شيء عن أخذ الراديو بوز ويف Bose Wave، وكذلك عن الثوب المصنوع من قماش ذي أوبار الذي سرقته من فندق سافوي؛ كما يمكنك أن تنسى أي شيء يمكن أن تفكر به ليجعل انتقالك بعيداً عن بيتك أكثر راحة. عند وصولك إلى ساحة الواصلين والمغادرين في السجن، إن الشيء الشخصي الوحيد الذي يُحتمل أن يسمحوا به هو علبة سجائر فقط.

لا يدري أحد لماذا أعطيت السجائر هذه المعاملة الخاصة، مع أن شيئاً ما يقول لي: إن هناك شيئاً صغيراً يسمى «لوبي صناعة التبغ» في واشنطن العاصمة، يجوز أنه قام بعمل ما من أجل ذلك. لكن ذلك ليس هنا ولا هناك. إذا كنت مديراً تنفيذياً محكوماً، وكنت في الوقت نفسه مدخناً شرهاً - وبسبب مضايقات الحكومية الاتحادية الدائمة، إن ٩٨٪ من المديرين المحكومين هم مدخنون شرهون - فإن خبر السماح بإدخال السجائر إلى السجن يعتبر خبراً لا يصدق. وبالواقع إن التدخين أحد أشياء كثيرة تجعل الحياة في السجن أكثر متعة من الحياة في عالم الشركات.

هل تعتقد أنني أبالغ؟ خلال العقد الماضي، شددت المجموعات المعادية للتدخين الخناق على المدخنين في الشركة، وأخيراً توصل الطرفان إلى منع التدخين في مكان العمل. كم مرة اضطررت أنت



للإعتذار عن اجتماع لتنزل بالمصعد ثلاثين طابقاً وتخرج من البناء لتدخن سريعاً، ثم تعود مهرولاً إلى الاجتماع وتبدأ العملية من جديد بعد ثلاث دقائق؟ على النقيض من ذلك، إن التدخين مسموح في معظم السجون في أي مكان وأي زمان ولأي شخص.

يدخن السجناء في زنزاناتهم وقاعة الطعام وحتى عندما يلكم بعضهم وجه بعضهم الآخر. في بعض الأحيان من الصعب أن ترى زميلك في الزنزانة من خلال دخان السجائر الكثيف الذي يملأ الزنزانة مثل جنّي قد أطلق من قمقمه. هل يشتكي حراس السجن من تدخين السجائر المستعملة كما اعتاد أولئك المدللون من قسم القوى البشرية في شركتك؟ حظ كبير؛ لأن معظم الحراس أنفسهم ينفثون دخانهم. بالنسبة إلى المديرين المحبين للسجائر الذين يعملون تحت وطأة عملهم الشاق والأمر المستبد بجعل مكان العمل نظيفاً من التدخين، يكون الذهاب إلى السجن أول نسمة من نسائم الحرية التي عرفوها من سنين.

الآن استعد للاتحاد الكبير المضلل. مع أن السجائر هي الشيء الوحيد المسموح إدخاله إلى السجن بدون أي سؤال، ينبغي أن تكون السجائر هي الشيء الأخير الذي تفكر بحزمه ولو كنت تدخنه كالبركان.

لماذا؟ إنها مسألة منطقية بسيطة. في أرض المتاجرة، وهذا ما يصبح كل سجن أخيراً، لابد أن تكون السجائر ذات قيمة صغيرة أو لا قيمة لها، وذلك لأنها متوافرة ولأنها تأتي من حيث الوفرة في الدرجة الثانية بعد السلاح المخبأ. نتيجة لذلك، يكون إحضارك السجائر إلى السجن ذا معنى مثل إحضارك المال إلى الصرَّاف الآلي. لذا، أخرج السجائر من علبها وألق بها لتضع في علبة السجائر شيئاً ذا قيمة أعلى في السجن: ألا وهي علكة النيكوتين.

سـأطلعك على سـر صغيـر: إن علكة النيكوتين هـي المادة الوحيـدة والنادرة التي يفـتش عنهـا الجـميع فـي السـجن اليـوم. ويعـتـاد كل سجين تقريباً على ثلاث علب في اليوم وراء القضبان، وإذا أراد أن يتوقف عن ذلك – يتعين عليه أن يتحدث إلى الشخص الذي يزوده بالعلكة، أليس كذلك؟ في الأسبوع الأول الذي أمضيته في لوماكس، حصلت على مبلغ ٩٠٠ دولار لقاء كمية علكة النيكوتين الصغيـرة – بالسـعـر الدارج – وهذا المبلغ أكـثـر من حـاجـتي لأبدأ عـملي من الصـفـر. فكر بعلكة النيكوتين (من مـادة لا قـيمـة لها في السـجن)، وراقب المال الذي يجري إليك.

فكرة أخيـرة: أنصحك بألا تهرّب إلى السـجن مـادة أخرى غيـر علكة النيكوتين، وقد تكون مطلوبة في السـجن، وخصوصاً حملها معك. يوجد سبب وجيه جداً لذلك.

عندمـا تصل إلى منطقـة الاسـتـقـبـال والمغـادرة في السـجن، سـوف تلاحظ بعـضـاً من حـراس السـجن ذوي القـامـات الطويلة والأجـسـام الضـخـمة يطلبـون منك أن تخلع كل ثيـابك (إذا كـانوا غـاضـبين فـلا تظن أن الأمـر شـخـصـي، فـيحـتمل أنهم لم يدخنوا سيـجارة قبل دقـائق). هنا، سـيـصـار إلى غـسلك وإزالة البـراغـيث. (هـذه العـمليـة الأخـيـرة أعطت الحارس الذي كان يغسلني ويزيل البراغيث فرصة ليعلق مازحـاً نوعـاً ما بأن عملية إزالة البـراغيث لم تكتمل لأنني ما زلت واقفاً. بالنسـبة لبعض حراس السجن كل ليلة هـي ليلة للتسلية).

بعد عملية إزالة البراغيث، يمكنك أن تتوقع عملية تفتيش لجسمك كاملاً وتُتوج هذه العملية بإجراء يسمونه «التفتيش عن الغنائم». وأفضل ألا أعطي وصفاً لهذا الإجراء، لكن اسمح لي أن أصف ذلك بهذه الطريقة: هل تذكر عندما تكون تفاوض للحصول على شركة أخرى، ويقول لك المفاوض من الطرف الآخر أن تأخذ العرض الذي قدمته وتضعه حيث لا تصل الشمس؟ فإن فعلت كما طلب منك، فإن حارس السجن سيجده عندما يقوم «بالتفتيش عن الغنائم» في المكان الذي وضعته فيه. ولن يدعك تحتفظ به أيضاً.

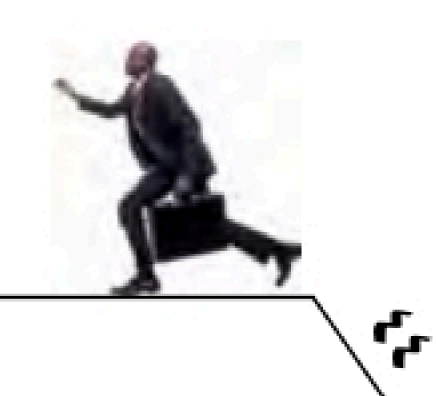




٥

لغة السجن:
من الألف إلى الياء

تصور أنك في عالم جدي وغريب حيث يتحدث الناس بلغة متجانسة يبدو أنها صممت لتزعج وتخيف بل وترعب كل قادم جديد. وكلما سألت عن معنى كلمة ما، يكون الجواب صمتاً أو سخرية أو هجوماً جسمياً. فلذلك تتوقف عن السؤال وتتظاهر بأنك تفهم كل شيء وتهز رأسك موافقاً على كل الهراء الذي يقال حولك بينما تشعر بدوار. بل



وتحاول تحريك يديك عند التحدث بتلك اللهجة الغامضة، حتى وإن أدى بك استعمال كلمة في غير موضعها إلى إهانة شخصية أو إبعاد أو أسوأ من ذلك كثيراً جداً.

إنني متأكد من أن كثيرين منكم يظنون أنني وصفت لكم الآن سجناً أمريكياً عادياً. احذروا مرة أخرى. كنت أتحدث عن غرفة مجلس شركة فورد في ديترويت أو ميتشيغان بناء على تقارير من شهود عيان عما يجري هناك. وهذا الوصف المزعج ينطبق على عشرات الشركات الأميركية انطباقاً تاماً، فضلاً عن بعض المنظمات الخيرية المعترف بها. وكما يعرف كل من حضر محاضرة «نقطة القوة» التي لا معنى لها، أو استمع إلى خطاب «البقعة الخضراء» الذي لا يمكن فك رموزه، أنه من «يتقن الحديث بلغة الأعمال» في عالم الأعمال ليمتاز امتيازاً كبيراً عمن سواه، ويشمل ذلك تلك الأقلية من رجال الأعمال الذين يعرفون حقاً كيف يشكلون جملة كاملة باللغة الإنكليزية.

يمكن أن يقال الشيء ذاته عن السجن مع ذكر فرق صغير ووحيد: قد يؤدي استعمال كلمة خاطئة أو تعبير خاطيء إلى إحراج صاحبه، لكن الإحتمال الأكبر هو وضع رأسه داخل كرسي «الحمام».

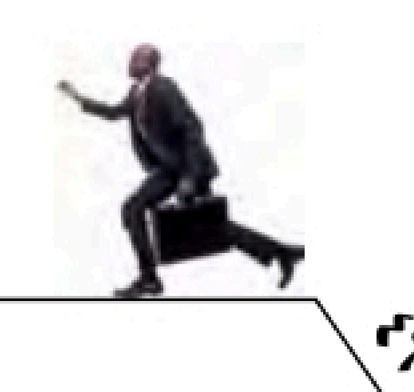
يهزأ بعض المديرين التنفيذيين المحكومين بهذه المقارنة ويقولون: إن لغة عالم الشركات ليست سهلة على الفهم فحسب لكنها أقل قوة ورهبة من اللهجة الموحشة التي قد تُكتشف في أي سجن اتحادي. بصفتي أنني عشت زمناً طويلاً في المكانين، إنني بكل احترام لا أوافق على هذا الرأي. إنني اسألك: في أي بيئة يحتمل أكثر أن تسمع الناس يلقون

العبارات المخيفة مثل «يفني» و«يفلس» و«يبذخ»؟ أين «تسيّر» الأوارم و«تقتل»، والأرقام «تُحطمكم»، وتقديرات الأرباح «تُهزم وتُسحق»؟ أين يكون الاستيلاء «عدائياً»، والأموال المشتركة «عدوانية»؟.

نعم، إنني أخشى حين الوصول إلى اللهجة التي تقشعر منها الأبدان أن تقوم الشركات بإلقائها على السجون، وهي ليست بقريبة منها. إذا أُجبِر زميلي في الزنزانة «سنيك» أن يصبح مديراً تنفيذياً في شركة «آول، تايم وورنر»، فإنه سيجد اللغة المستخدمة في مقر رئاسة الشركة في نيويورك تجعل شعر الرأس ينتصب حقاً على أقل تقدير. وعندما يتقن استخدام هذه اللغة فإنه سيكون تطوراً على الإدارة الحالية للشركة، بل ويجوز أن يحقق زيادة المكاسب والروح المعنوية.

الفرق الكبير والوحيد بين السجون والشركات طبعاً هو أن كثيراً من المديرين التنفيذيين يذهبون إلى مدارس الأعمال حيث يقضون سنتين قبل أن يبدأوا أعمالهم، وبذلك يتمكنون من تعلم العبارات الفنية التي سيحتاجون إليها في أعمالهم في نهاية المطاف. هذا، ما لم يرثوا مركز المدير التنفيذي عن أحد أعضاء الأسرة، وفي هذه الحالة سوف يسجلون أنفسهم في مدرسة للأعمال لكنهم لن يحضروا الدروس أبداً، فهم إنما يشترون ما يطلب منهم من فحوص عن طريق الإنترنت.

مع ذلك لا توجد مادة دراسية مناسبة تعد المديرين التنفيذيين المحكومين باللغة التي سيسمعونها في السجن؛ فلا يستطيع المرء أن يداوم سنتين بعد المدرسة يتعلم معنى عبارات مثل «فوفو» التي تعني (مزيل روائح) و«جاك ماك» التي تعني (سمك معلب). وزيادة عدد



المديرين التنفيذيين المحكومين تغير هذا الوضع كله؛ يقال: إن جامعة هارفارد وجامعة وارتون تدرسان إضافة مواد تدرس لهجة السجن إلى مناهج مدرسة الأعمال والإدارة. وإلى أن تفعلا ذلك يبقى المديرون التنفيذون مقدراً لهم أن يمضوا أشهراً عديدة في السجن وليس لديهم أي فكرة عما يقول الناس لهم، وهذه حالة خطيرة، وهذا أقل ما يقال.

أسمع بين الحين والآخر عن مدير تنفيذي محكوم لا يظن أنه يحتاج إلى بذل أي جهد ليتعلم لغة السجن. ربما تعوَّد على أن يكون حوله عدد من المحترفين في جميع المناسبات يقدمون المساعدة له في شرح الأشياء التي لا يفهمها، مثل العبارات القانونية الغامضة، والتعليمات المضللة عمداً لهيئة الأسهم والعملات SEC وبعض الوصايا العشر. هل أنت أحد هؤلاء المديرين العنيدين؟ إن كانت القيود ملائمة فالبسها. لكني أنصح بقوة أن تغسل عنك كل الكبرياء قبل أن تصل إلى السجن. فإن كنت ستمضي السنوات العشر أو العشرين القادمة في بلد أجنبي، فسوف تتمكن من قضاء بعض الوقت في تعلم لغة ذلك البلد. والسجن، دون أدنى شك، بلد آخر، وخاصة إنه بلد يشبه كوريا الشمالية كثيراً.

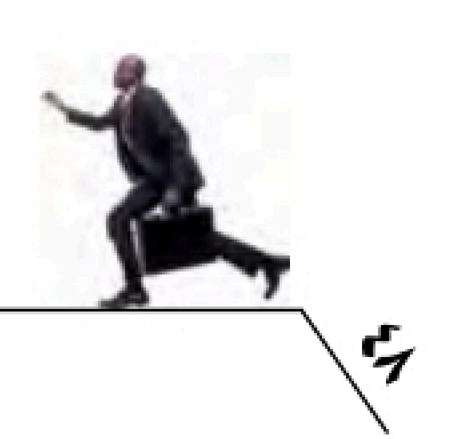
سأحاول أن أعطي في الصفحات التالية دورة في لغة السجن للمبتدئين، إلى المديرين المحكومين حديثاً. مع ذلك هناك تحذير: إن لغة السجن، مثلها مثل أيٍّ لغة جديدة، ذات تعقيدات وروابط ذكية مما يجعلك لا تتوقع حقاً أن تتقنها بدون قضاء أشهر وربما سنين في الممارسة والتدريب. ومن حسن الحظ، إن عدداً كبيراً منكم يتمتع بوقت كاف وراء القضبان ليصبح أكثر طلاقة مما يحلمون أن يكونوا. ولكن في

هذه الأسابيع الأولى الرهيبة، ويبقى على رأس جميع هذه الكلمات والعبارات الجديدة أشياء كثيرة ليسأل عنها، خاصة وأنك ستمضي معظم الوقت تهرب من الناس أو تختبئ خلف الأشياء.

أنصحك بأن تفعل ما فعلته أنا وتضع يدك على نسخة من «الدليل بيدك» أو «الكاشف» أو أي قائمة بكلمات السجن حتى تستطيع فهم العبارات الشائعة والمستعملة في السجن وبذلك يكون لديك مرجع سريع تعود إليه حين الحاجة. (لا تحاول تهريب «الدليل» لأنه بسبب تدفق المديرين التنفيذيين المحكومين على السجن أصبح «الدليل» متوفراً بالدرجة الثالثة بعد السلاح المخبأ والسجائر).

قضية في نقطة: خلال الأسبوع الأول في لوماكس وسط هياج في السجن التفت إلي أحد المحكومين، واسمه فيست Fist، وحدق بي وصرخ «أرفس الصخر، يا كلب» هذه عبارة لم أعرفها مباشرة. ومن حسن الحظ استطعت أن أعود إلى «الدليل» وأن أعرف معناها، فقد أمرني أن أغادر المنطقة وإلا فإنني سأواجه العواقب. لم أكن بحاجة إلى كتابي الدليل ليشرح لي ما هي تلك العواقب، فقد تكلم الأنبوب الرصاصي الذي كان يلمعه لغته الخاصة به.

عندما تكتب العبارات التالية من مفردات السجن في قائمة الكلمات الخاصة بك، حاول ألا يسيطر عليك ويزعجك ذلك الجبل من المعلومات الجديدة، وتأكد إن أديت واجبك ودرست جيداً فإنك سترفع رأسك منتصباً وقوياً مثل العضو الصلب.



UP -7: تحذير باقتراب حارس.

UP-(k)401: تحذير اقتراب مساهم سابق بشركتك.

ADX: يعتبر سجن ماكس فلورانس الإداري أكثر السجون أمناً في البلاد، حيث يجب على العاملين أن يعملوا ويأكلوا وهم في زنزاناتهم مقفلة عليهم دائماً. ويشار إليه أحياناً بكلمة «Citigroup».

Flip the pad: يتقلب المرء على فراشه في الزنزانة؛ وكذلك يبيع حصته في بارك آفينيو ليغطي المصاريف القانونية.

big ja: حقنة سامة.

Little jab: إشارة إلى حكم بالسجن في جريدة وول ستريت، في عمود «سُمع في الشارع».

clavo: مجموعة أو مستودع سري؛ كما آمل ألا تكتشف إدارة ضريبة الدخل مستودعي / مخزوني الضخم من الفرنكات السويسرية في جنيف.

snitch: كلمة تطلق في السجن على السجين الذي يتجسس على المحكومين الآخرين ليحظى بمعاملة خاصة. في عالم الشركات تستعمل كلمة snitch ويسمى أحياناً «نافخ الصافرة» ويصل في النهاية إلى غلاف مجلة تايم.

ducat: إذن داخلي في السجن.

fucat: ما يقول السجين بعد حرمانه من الإذن الداخلي.

R & D:«الواصلون»، المكان الآمن في السجن وفيه يُقبل القادمون ويصرف المغادرون. وتطلق العبارة أيضاً على ما تزعم أنك تنفق أموال الشركة عليه بينما في الواقع إنك تنفق تلك الأموال على شراء السيارات بوغاتي الغالية جداً لراقصة تعري.

grunion: مبلغ صغير من المال، كما في المثال «الأغرار الذين استثمروا تعويضاتهم التقاعدية في الاتصالات العالمية ولم يبق لهم الآن إلا grunion مبالغ صغيرة من المال».

BOP: اختصار لمكتب السجن؛ وعند استخدامها كفعل فإنه يعني الضرب على الرأس بهراوة، أو مضرب كرة القاعدة، أو أي مضرب ثقيل.

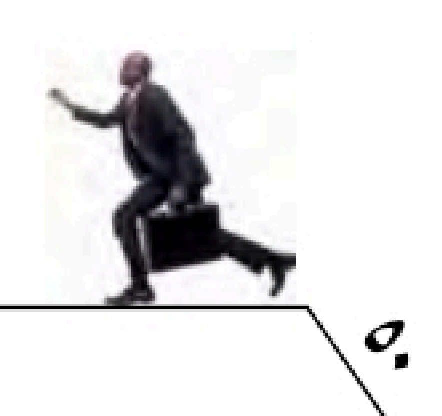
make paper: تُجري حديثاً.

Fake paper: شيء تصدره شركتك بقدر كبير فتقلل بذلك فرص إجرائك لحديث.

Lay Advocate: ١- من يعرف بأنه «محامي السجن»، وهو سجين يعرف جميع القوانين والإجراءات وقد يصاحب سجيناً آخر إلى الجلسة.

٢- أي عضو من الفريق القانوني لشركة ايرنون السابق، المدير كينيث لي.

Four-minut job: حمام؛ وتشير أيضاً إلى فترة رئاسة المدير التنفيذي هارفي بيت.



C-file: الملف المركزي وفيه معلومات حساسة عن كل سجين.

C-note: الكلفة العادية لجعل حارس السجن يغير المعلومات في ملف شخص ما.

homes: عبارة تعزيز، وهي اختصار لعبارة (homeboy). وعندما يضاف إليها عبارة (in the Hamptons) فإنها تشير إلى المدير التنفيذي المحكوم وما تحقق له لقاء اتفاقية صفقة الرحمة.

peter-gazer: المحكوم الذي ينظر إلى الأماكن الخاصة بالناس الآخرين في الحمام.

مبدأ **Peter-Gazer**: نظرية إدارية محترمة على نطاق واسع تسلم: بأن من يحدق بأعضاء الآخرين في الحمام ستزداد حدود كفاءته في آخر الأمر.

gettin' my [blank] on: فعل شيء ما. مثلاً: «getin' my mack on» القيام بعمل جنسي، و«gettin'my jack on» أن يسر الإنسان نفسه، و«gettin'my flack on» استئجار عامل دعاية ليلقى باللوم على الآخرين عن عمل قام به المرء نفسه.

Copping duce: مناقضة الذات، وتعني الشهادة أمام الكونغرس.

donkey dick: شرائح باردة، كما في القول: من استثمر في غلوبال كروسنغ ينبغي أن يأخذ شرائح باردة لمخه.

Bush pass: ١- الهرب أو الابتعاد ٢- عفو رئاسي.

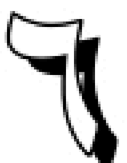
You put me on front street, punk: قد تكون أفشيت سراً عن غير قصد أو معلومات هامة وهذا يؤذيني جداً.

You got freak bone a mile long: إنك متفوق في التفكير في خارج السجن.

I'mo punch your grille out: إنني على وشك أن أخلصك من أسنانك.

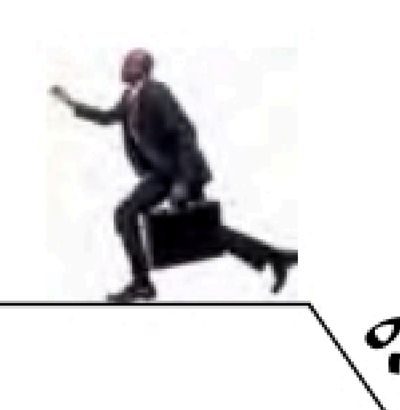






طعام السجن:
لا تأخذ الشيك

كان شريكي السابق الممول الهارب ذو الشهرة العالمية، فيكتور م. سوريان أكولاً كبيراً، سواء كان يخوض غمار وجبة مؤلفة من تسعة أطباق، بينما كان يقوم برحلة عمل إلى الشاطئ اللازوردي، أو كان يمضغ ويبلع إيصالات تلك الرحلة ذاتها، بينما يقوم أحد عناصر مكتب التحقيقات الفيدرالي بطرْق باب مكتبه المقفل. كان فيكتور أكولاً شرهاً،



لكن يجب أن أعـتـرف بأني وجـدت إصـراره على الجلوس وظهـره إلى جدار المطعم، وطلب مني أن أتذوق طعامـه قبل أن يضعـه في فمـه، أمور تثير القلق نوعاً ما. إنني واثق تماماً من أن فيكتور كان في تلك اللحظة يبحث عن وجبة خيالية في مطعم من مستوى أربعة نجوم في مكان فخم وبعيد، ويفترض أن البوليس الدولي لم يصل إليه ولم يقتله بعد.

ليس فيكتور في حبه للطعام وحيداً لأن حساب الوجبة الباهظة يلعب دوراً أساسياً في حياة أي مدير تنفيذي ناجح، وكذلك هو الأمر بالنسبة لحياة كثيرين من المديرين غير الناجحين. حتى في خضم معركة صعبة للاستيلاء على شركة، أو اتهام ريكو الذي يقضم الأظافر، يستطيع الرئيس التنفيذي أن يعتمد دائماً على وجبة شهية كمصدر ثابت للإسعاف، كما يعتمد طفل مولود حديثاً على ثدي أمه. من الجهة المقابلة، فإن مناسبة تناول طعام تقليدي في قاعة طعام في سجن خامل وكئيب، حيث تنشأ أعمال عنف عشوائية وحيث تترعرع الهوام والطفيليات المسعورة، لا تشبه الشيء الذي يجعل معظم المديرين التنفيذيين يلقون بربطات العنق ذوات العلامة التجارية هيرميس على أكتافهم في انتظار ملهوف. يكشف استطلاع للرأي أجري حديثاً على المديرين المحكومين أن المكان الذي كان يخشاه المديرون السابقون في السجن أكثر من سواه ليس الحكم كما يتوقع المرء، لكنه المطعم (أما الحمام فيأتي بعد المطعم مباشرة).

من سوء حظ الرئيس التنفيذي المدلل أنه في اللحظة التي يودع فيها في السجن تتضاءل خيارات الطعام أمامه جداً؛ وفي السجن أيضاً قد يتخذ المدير التنفيذي موقفاً «لا أستطيع أن آكل». ولكن إليك الخبر

الجيد إن التكيف على تناول الطعم في السجن بعد العيش سنوات فوق مستوى العامة - أو هل ينبغي أن أقول فوق مستوى المساهمين - ليس بالأمر الصعب كما يتوقع معظم المديرين المحكومين أن يكون بالواقع، لو اتخذت خطوة إلى الوراء للحظة واحدة، فإن أوجه الشبه بين وجبات الطعام الباهظة ووجبات السجن كثيرة ومدهشة.

ففي السجن، كما في عالم الشركات، ليس عليك أن تحجز مكاناً مسبقاً ولا أن تدفع ثمن الوجبات، ولا عليك الانتظار حتى يرشدوك إلى مكان جلوسك؛ في الحقيقة، إن تلكأت لحظة واحدة فمن المحتمل أن يضربك الحراس. ولكن ما رأيك بحقيقة مشاهد العنف الاسطورية والفظيعة في مطعم السجن كما تصورها أفلام السجن من هوليود؟ في الواقع، إن هذه الثورات المتكررة تبدو باهتة اللون إذا قورنت بساحة المعركة الأعنف والأشرس التي تقع إذا ما أخطأ رئيس تشريفات في فندق في نيويورك أو لوس انجلوس في معرفة مدير تنفيذي وأعطاه طاولة غير مرغوب بها قرب المطبخ أو ستيفن سيغل (أي شخص عادي).

أما بالنسبة لندرة خيارات الطعام في قائمة المأكولات اليومية في السجن، فلن يستغرق التعود عليها زمناً طويلاً، بينما يحتمل أن يعتقد المدير التنفيذي المحكوم كان لديه سلسلة خيارات واسعة من الطعام عندما كان يجلس ليتعشى في مطعمه المفضل الراقي، فهذا لا يبتعد عن الحقيقة، لكن السر القذر في عالم المطاعم للطبقة الراقية هو: كلما زاد جمال المطعم، نقص تأثير الطعام الموجود في الطبق على من يتعشى. ففي أعظم مؤسسات المطاعم في عواصم المال في العالم تكمن



القوة الحقيقة في كبير الطباخين الذي يسيطر على المطعم سيطرة تامة كطاغية متقلب المزاج كالأطفال. فلا تطلب أنواعاً محددة من الطعام (مثل steak frites أو crab cake) في هذه الأماكن. فإن فعلت فسوف تحصل على ما يريده عبقري المطعم لك، سواء كانت معدتك تستطيع هضمه أم لا. غريب، أليس كذلك؟ ليس لدى معظم المديرين أيٌّ مشكلة مع هذا النوع من الألم والمعاناة عندما يكونون أمام مأدبة في ما يسمى بالمطعم «الحار»، لكنهم يبكون ويصرخون عندما يمارسون الشيء نفسه في مطعم السجن. لو اتُهم المديرون التنفيذيون بالنفاق بالإضافة إلى الاحتيال والاختلاس لشغرت فجأة جميع مكاتب المديرين في البلاد.

بفرض أن الفرق بين كلفة العشاء العالية في المطعم وكلفة الطعام في السجن ليس فرقاً كبيراً تماماً كما تعتقد، إليك فكرة صغيرة لتستفيد من وقتك في مطعم السجن. حاول أن تتخيل أنك في مطعم رائع تجلس قريباً من دانييل دي لويس وستنغ. لو أغمضت عينيك وتخيلت أن الطعام الموجود أمامك في مطعم السجن هو أحدث عروض كبير الطباخين «تذوق مأكولات الربيع»، أو «عينة انتاج الخريف مما لذ وراق»، بدلاً من الطبق المملوء بالطعام الزنخ الذي فُرض عليك، فسوف يصبح وقت الطعام في السجن أكثر متعة من «لنخرج»، وهنا درس كبير أيضاً وذو قيمة كبيرة: معظم نواحي الحياة في السجن ستصبح أكثرة سروراً ومتعة، أو على الأقل محتملة، إذا حاولت أن تتخيل أن شيئاً ما يجري غير ما يحدث بالواقع، فمهارة جميع الحقيقتين المختلفتين في خيالك هذه، يجب عليك إتقانها، تماماً مثل الاحتفاظ بمجموعتين من الكتب.

نقطة أخيرة حول الطعام. مع أن خيارات الطعام محدودة جداً في مطعم السجن، إلا أن الخيارات موجودة. كل ما عليك فعله هو أن تتظاهر بأنك متدين. فقد لاحظت في سجن لوماكس مثلاً ما يسمى «وجبات خاصة» تقدم للنزلاء من معتقدات دينية معينة وهي في الغالب تفتح الشهية أكثر مما يُقدم إلى بقية نزلاء السجن. لذلك أنصح أن يحفظ جميع المديرين المحكومين بضع صلوات وأدعية من كل دين من الأديان الرئيسية في العالم قبل أن يُودعوا السجن، لأن الإنشاء الديني المتقن والأصيل غالباً ما يخدع عمال المطعم فيجعلهم يقدمون الوجبة الشهية الموجودة لهم.

الآن، بعدما حُلت مشكلة الطعام في السجن التي تبين أنها ليست مشكلة كبيرة في نهاية المطاف، ماذا يقال عن الشراب؟

طبعاً، يحب كثير من المديرين الشراب أكثر من حبهم للطعام، ولتكون فترة قضاء خمس سنوات أو عشر سنوات أو أكثر من دون الحصول على شرابهم المفضل عقوبة قاسية وغير عادية وذلك بحسب رأيهم. لكن غياب الشراب وراء القضبان خرافة كبيرة. قد يكون صحيحاً ألا يتمكن المدير المسجون من الحصول على زجاجة شراب ربحت جائزة آخر عدد من مجلة (واين سبيكتيتر Wine Spectator، أو حتى مجلة فينوسبيكتيتي wino Spectator)، وإذا كان منفتح العقل انفتاحاً كافياً، فإنه سيمتع نفسه بأفضل شيء يأتي بعد ذلك مشروب يشبه الشراب الأصيل في السجن يسمى «برونو Pruno». كما يدعى أيضاً «تشوك Chalk» أو «ريزين جاك Raisin Jack»، يصنع السجناء مشروب البرونو

بأنفسهم وذلك باستعمال الفواكه والخمائر والسكر والمكونات الأخرى التي يسرقونها من مطعم السجن، ثم يخزنونها بعناية في أكياس النايلون السوداء أو في كرسي حمام السجن. إذا كانت هذه الأمور جميعاً تبدو غير مشهية، تذكر على الأقل لم يضع الفرنسيون أقدامهم فيه.

قبل أن تُبعد أنفك عن البرونو - الذي بدأت تحبه لا سيما مع قطعة جبن رائعة - اسمعني إلى الآخر. فمع مرور السنين كانت ملاحظتي بأن معظم المديرين التنفيذيين لا يحبون الشراب كثيراً، وإنما يحبون التفاخر بمعرفتهم بالمشروبات كي يجعلوا الناس الذين يأكلون معهم يشعرون بالاكتئاب. في هذا المجال، يفعل برونو ذلك ولا يضاهيه بذلك أيٌّ شراب على الكرة الأرضية، عندما تنقضي مدة حكمك وتعود إلى خارج السجن فسوف يكون أمامك سنوات من الرجولة تتطلع إليها وأنت تتبجح أمام زملائك الخبراء بالمشروبات عن كل مشروبات البرونو التي تمتعت بها وراء القضبان: ربما فولسوم ٩٧، أو سان كوينتين ٩٩. ولكن تأكد إن سألوك كيف تكتب برونو أن تهجيها على الطريقة الفرنسية «pruneaux»، حتى يقتنعوا بأنها نوعية فرنسية نادرة فاتتهم معرفتها بدون تفسير. إذا كنت محظوظاً فإنهم سيمضون السنوات الثلاثين الآتية يسعون ليجدوا البرونو بينما يقومون بجولة تذوق للمشروبات في وادي اللوار، وربما دمروا حياتهم بهذه الطريقة.

عندما تفكر بأمر التجول في عالم الأطعمة والمشروبات الغامضة وراء القضبان فإنك تجد ذلك لا يختلف عن التفكير في مكان تتناول فيه الطعام عندما تكون في مدينة جديدة تزورها أول مرة. إنني متأكد

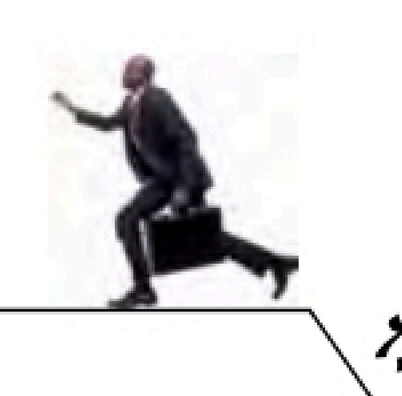


من أنك تذكر المرات العديدة التي نزلت فيها في عاصمة أجنبية لتبيع رجال المصارف المحليين خطة متاجرة بالعملات لا تدفع الضرائب - حتى وإن قلت لا تذكر أنك فعلت ذلك، أثناء محاكمتك. كيف قررت أين ستأكل في تلك الأماكن التي لم تزرها من قبل؟ بسيطة! ربما قام مساعدك بفتح دليل (زاغات Zagat) واختار لك أغلى مطعم في المدينة، ودخلت أنت السوق.

لسوء الحظ، ولو أن أكثر قراء الدليل زاغات ولاءً - وهم مديرون أصحاب حسابات نفقات كبيرة - يتجهون الآن إلى السجن، فإن الدليل زاغات لم يتخذ الخطة ليصدر دليل المأكولات في سجون أمتنا. لقد قررت في محاولة لملء هذا الفراغ أن أصنع هذا الدليل بنفسي، وذلك باستخدام استمارة يملؤها آلاف الخبراء في العالم بوجبات السجن الجيدة - وهم الخبراء التنفيذيون المحكومون أمثالي. إليكم الآن دليل زاغات الخاص بي لأفضل خمسة سجون في أميريكا مدرجة بحسب الطعام والديكور والخدمة والخبرة الكلية بتقديم الوجبات.

سجن الولايات المتحدة في ماريون (ماريون - الينويز)

كان المشاركون بالتصويت مسرورين بهذا المكان بسبب القيود الأمنية البسيطة والطعام جيداً مع أن التحديات الكبيرة القادمة من التجديدات التي يقدمها رؤساء الطهاة في أمكنة أخرى من النظام الاتحادي، فقد بقي هذا المطعم معيار الذهب لمطاعم السجون في كل مكان، مع أن بعض النزلاء يقولون إن الطعام لا يرقى إلى مستوى «العظيم»، يوافق معظم من شملهم المسح على أن الأطباق الرئيسية



«ذات مذاق أفضل مما تبدو» و«نادراً ما تسبب الآلام والأمراض» ومع ذلك يقول الخارجون من ماريون إن الطعام «لا يستحق أن تصاب بطعنة من أجله وأنت واقف بالصف من أجله».

سجن الولايات المتحدة في ليفين وورث (ليفين وورث، كنساس)

إنك لن ترغب بأن يطلق سراحك من السجن بعد تذوق الوجبات الفاخرة في قلب البلاد المفضل هذا، والذي بدّل رؤساء الطباخين بعد تنحية الطباخ السابق إثر حادث حريق غامض. ومع الحلويات التي تؤخذ بمواعيدها مع اختيار برونو من الدرجة الأولى، ليس غريباً أن اعتبر المشاركون بالمسح ليفين وورث السجن رقم واحد «الذي ترغب بدخوله أكثر من الخروج منه».

معهد نبتر الاتحادي للإصلاح (نبتر، كارولينا الشمالية)

إذا استطعت أن تتجاوز الاسم «فإنك تحتاج إلى ربط شريط حقيبة الطعام» في بنتر الأسطورة حيث يكون الطعام «يؤكل» عموماً إن لم يكن «معرّفاً» دائماً. يقول النزلاء «إنك لن ترغب في أن تخسر هذه الوجبات» حتى وإن كانت أسنانك «مخلعة» فتجعل أمر أكل هذا الطعام صعباً. اشتكى بعض من شملهم المسح من أطباق الدواجن التي «حتى الرجل المختص بالطيور في الكاتراز لم يتمكن من معرفة أنها دجاج»، بينما قال آخرون إن المطبخ عانى من جمع «عدم الاهتمام مع الزحار»، إضافة إلى ذلك يوافق معظم النزلاء على أنه إذا سجنت في بنتر فإنه المكان الوحيد لتناول الطعام.

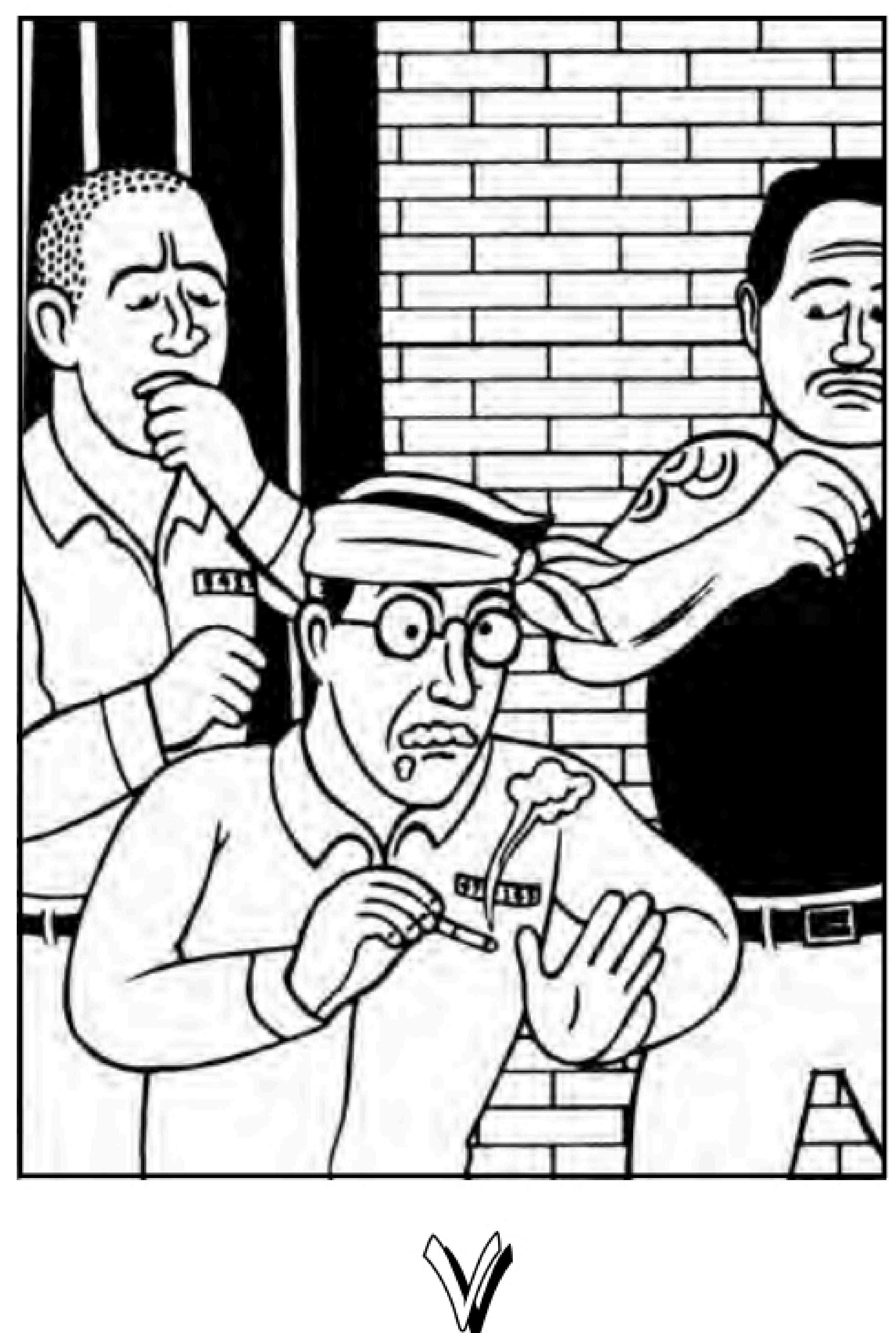
سجن الولايات المتحدة في لومبوك (لومبوك، كاليفورنيا)

يقول المشاركون في المسح الذي يطلقون على الوجبات «سامة نادراً»: لو دخل جون كاش سجن لومبوك، لما غنى البلوز. مع أن معدلات الطعام مقبولة عموماً، فإن بعض المشاركين اشتكوا من أن الخدمة تتراوح من «الهوينا» إلى «العدوانية»، ويحذرون النزلاء من التجول طويلاً على المنحدرات لأن حراس السجن هناك «شديدو الوقاحة» يقفون هناك سيركلونكم على مؤخراتكم.

سجن الولايات المتحدة في تيرهوت (تيرهوت، إنديانا)

البيت بالنسبة إلى عدد من النزلاء في صف الموت الاتحادي، إن المطبخ ذي الطوابق في تيرهوت لديه أكثر من حصته من «الزبائن القساة» وهم عندما يأتي الدور إلى وجباتهم الأخيرة، يمكن «أن يكون من الصعب إرضاؤهم مثل موريس الهر». نجح رئيس الطهاة في سجن تيرهوت في الولايات المتحدة في إنتاج وجبات مدهشة مصنوعة بناء على الطلب لمجموعة مشاغبة من الصعب إرضاؤها، والطلبات خاصة مثل «ستيك بورترهاوس الرقيقة»، والبطاطا المقلية «الفاخرة» وحلويات الشوكولا التي «يموت المرء من أجلها» حرفياً؛ وكانت عبارة أحد من شملهم المسح «سوف ترغب بألا تأتي وجبتك الأخيرة».

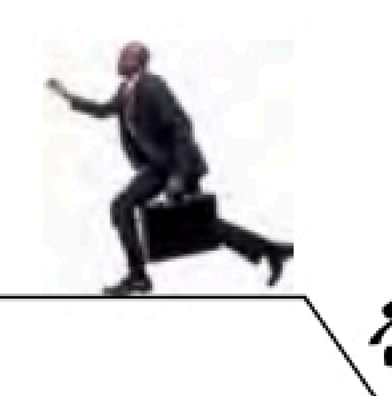






العادات السبع للمساجين المؤثرين جدا

بالعودة إلى الوراء، إلى الأيام الذهبية، حينما كان ارتفاع أسعار الأسهم في السوق لا يمكن إيقافه وكنت شخصاً غير متهم، كان ذراع شامكو الصيدلاني هو الجوهرة التي تزين تاج شركتنا المبنية بشكل سيء. ولكن حتى ذلك الفرع ينتج تميزاً حقيقياً بين الحين والآخر. أذكر عندما حولنا سرقة حصة في السوق من العقار الرائج «فياغرا» وذلك



عن طريق البدء بعقار منافس خاص بنا ويسمى «هورني ماكس» (الانتصاب الأعظمي). وبحركة ذكية من حركات التسويق لتفنيد ادعاءات (فياغرا) بمعالجة (سوء الانتصاب ED)، قلنا إن هورني ماكس يستطيع أن يقتلع (الاضطراب ونقص التنبيه القضيبي PAAD). وبدا لنا أن هورني ماكس هو الضربة الناجحة، وما أن أعلنا أن لدينا عشرين مليوناً من الحبات الصفراء جاهزة للشحن وأعلنا العرض على أحد شباب الشارع الخلفي بأن يكون وكيلنا التجاري، بدا أن سوق البورصة والأسهم موافق.

ثم وقعت الكارثة. إن العقار الذي رأى النور من خلال عملية موافقة وكالة الأغذية والأدوية، تبين أنه لا يعالج «اضطراب ونقص التنبيه القضيبي PAA» لكنه بدل ذلك جعل الذين تناولوه يصابون بأعراض شبيهة بأعراض حمى القش الحادة عندما يثارون جنسياً. بعد سلسلة من شكاوى المستهلكين وجلسات عنيفة في الكونغرس، انهار أحد موظفي وكالة الأغذية والأدوية، وكان مشاركاً في صنع قرار الموافقة، واعترف بأنه قبل حصة مؤقتة في ماوي وسيارة فيراري مقابل موافقته على القرار، وما تبع ذلك، لم يكن أمراً جيداً بالنسبة لشامكو. فقد سُجن عدد من المديرين التنفيذيين المتورطين في فضيحة هورني ماكس وهم يقضون الآن أحكاماً مختلفة في سجون البلاد. هذه القصة مثال آخر عن كيفية قفز الحكومة الاتحادية على الضحية المناسبة بينما يبقى المذنب الحقيقي، وهو عنة الذكر هنا، بدون عقاب.

لماذا أذكر هذه القصة من مستودع أسرار شركة شامكو؟ لأنها تحكي عن مبدأ هام وحساس لنجاحك في السجن وهو: مبدأ المحاولة والخطأ. قد نكون جانبنا النجاح بالعقار هورني ماكس، لكننا في المرة

الثانية التي حالفنا النجاح بها مع عقار جديد لمعالجة الأداء الذكري/ بونوترين وفزنا بقصب السبق. فما هو الشيء الذي فعلناه وكان مختلفاً؟ لقد دفعنا إلى موظفي وكالة الأغذية والأدوية الهامين نقداً بأوراق نقدية من فئة مائة دولار، وهذه لا يمكن ملاحقتها. وأخبرنا بشروط واضحة مفادها: إن وشوا إلى الموظفين الاتحاديين، فإننا سنجعلهم يندمون على ذلك، وقت عصيب. التعلم من الخطأ أفادنا قطعاً: فحتى إن لم يكن العقار بونوترين أكثر فاعلية من هورني ماكس، فقد كان مذكوراً في معظم الوصفات الطبية في أمريكا ذلك العام.

لازمني مبدأ المحاولة والخطأ في السجن ملازمة دائمة ولا سيما الخطأ. لن أنسى أبداً يوم وصولي إلى هنا. فقد نسيت أن أطفئ جرس الهاتف الخلوي الذي يرن كنحلة كبيرة طنانة، مما جعل سنيك يدفع برأسي بين قضيبين من قضبان الزنزانة الفولاذية مقابل ذلك. هل جلست في مكاني أبكي وأرثي لحالي؟ نعم، ولساعات، لكنني قلت في نفسي «درس، تعلمته».

كلما تعلمت درساً من أحد أخطائي في لوماكس سجلته، وفي النهاية بدأت بالظهور عبارات أو صيغ أو - إن شئت - مقولات. وأدركت أن جميع أشكال السلوك في السجن يمكن أن تحلل إلى هذه المقولات، وأن كل سجين يمكن أن يحسن أداءه من خلال عدد من هذه المقولات وتحولاتها، مع أن في قضية بعض السجناء، يبدو أن الأدوية النفسية هي التي تفي بالغرض. بدأت بتصفية هذه المعرفة لتصبح سلسلة من الممارسات المساعدة أو «العادات» التي أنا مستعد لمشاركتك بها: عادات أسميها «العادات السبع للمساجين المؤثرين جداً».

ما هي العادات السبع؟ بكل بساطة، إنها المفاتيح لكسب اليد العليا في الصراعات:السن والمخلب، والكلب يأكل كلباً، وسجين يرفس سجيناً على رأسه، وهي أعمال تجري كل يوم في سجون أمريكا. تجاهل هذه العادات على مسؤوليتك؛ استخدمها وسوف تنتقل من «حقير» إلى «كبير» في ظرف أسابيع.

قد تتساءل، لم سبع عادات فقط؟ لماذا لا يكونون ثماني أو تسع عادات؟ لماذا لا تقفز إلى مئة عادة؟ أسئلة كلها جيدة. إذا توقفت قليلاً، فإنني سأحاول الإجابة عنها.

قد يهمك أن تعرف أن قائمة العادات كانت تشمل ما يقارب تسعمائة عادة سيئة قبل أن أختصرها إلى سبع في النهاية، وكنت لاحظتها عندما كنت وراء القضبان - عادات أدعوها حوالي تسعمائة عادة سيئة لسجناء غير مؤثرين أبداً. طلب بعض المديرين التنفيذيين مني نشر قائمة العادات السيئة كاملة حتى يعرفوا ماهي الأعمال التي يتجنبونها وراء القضبان. بقدر ما يكون هذا العمل مفيداً، فإن القيود على حيز المكان تمنعني من القيام به - وإذا كنت في السجن الآن، فإنني لست بحاجة لأن أشرح لك مفهوم ضيق الحيز المكاني. ولكن لمجرد أن أعطيك فكرة بسيطة عن ذلك، فإن أهم ثلاث عادات سيئة للسجناء غير المؤثرين أبداً هي:

١- السخرية من وجوه السجناء الآخرين وأجسامهم.

٢- «النقر» أو «إلقاء قطعة نقود» على نزيل زميل بينما يكون هذا النزيل الذي تتحدث عنه يستطيع أن يراك أو يسمعك.

٣- محاولة حفر نفق للخروج من السجن بملعقة بلاستيكية.



يرغب بعض المديرين التنفيذيين في تعلم المزيد من العادات الجيدة التي أعددتها هنا. ولا يزال مديرون آخرون يعتبرون أن العادات السبع أكثر من كافية ويغضبون من فكرة وجوب قراءة السبع عادات جميعها. وعدم صبرهم لا يدهشني لأنه طفولي، قد يكون المديرون معروفين بحبهم للطعام لكنهم غير معروفين بحبهم للقراءة، ويؤكد هذه الحقيقة كل من رأى الأرباح الواسعة كالبراري في أكثر كتب الأعمال مبيعاً. طبعاً، يتظاهر المديرون التنفيذيون باهتمامهم بالكتب الهامة، ويتحدثون عن الكتب الحديثة، تماماً كما فعلت عندما كذبت وأخبرت الناس بأنني كنت أقرأ ذلك الكتاب الطويل حقاً حول جون آدامز قبل سنتين في الصف، لكن الحقيقة إن معظم المديرين يفضلون أن يفعلوا أي شيء إلا القراءة حتى تدوير طاحونة الهواء أو تمضية الوقت مع العائلة، ورغبتهم القليلة في القراءة لا يحتمل أن تزداد زيادة كبيرة في السجن، حيث توجد أشياء كثيرة أخرى تتنافس على جذب اهتماماتهم مثل بروز أجسام المتهمين الآخرين من خلال الهواء المسلط عليها بدون إنذار.

علمت مؤخراً أن مؤلفاً آخر يسعى إلى جذب اهتمام متوسط المديرين المحكومين، وهو على وشك أن ينشر دليلاً مؤلفاً من ٣٩ صفحة حول كيفية العيش في السجن، تحت عنوان «دقيقة واحدة، أيها السجين». إن كنت تعتقد أنك ستحصل على خدمة من هذا الجهد السطحي لمشعوذ غير أخلاقي يسعى إلى الكسب السريع والسهل على حساب جمهور لا يشك فيه بشكل من الأشكال، لديه شخص محب يجعله يهرب لك هذا الكتاب الصغير إلى داخل السجن داخل رغيف



الموز التـالي لأجلك. لكن إلى الأكـثـر تميـزاً بينكم، أود أن أقــدم هذه الكلمات التحذيرية: لا تقبلوا أي بديل. بتمضية بعض الوقت فحسب لتعلم العادات السبع للمسـاجين ذوي التـأثير العالي، يستطيع المدير السابق أن يجعل من وقته في السجن خبرة مفيدة جداً وممكنة، لذلك وفر الدقائق الثمان أو التسع اللازمة لقراءة هذا الفصل، ولنبدأ.

العادة رقم ١: كن السبّاق

إن المديرين معتادون على تسلم مقود شركاتهم وقيادتها بوساطة قوة شخصياتهم، مهما تكن هذه الشخصيات غريبة الأطوار وجامحة. من الغـريب أن هؤلاء المديرين ذاتهم يصبـحـون المثـال ذاته للخـضـوع والاستسلام عندما يضعون أقدامهم في السجن. قد يكون للتغير الجذري في البيئة والدوافع أثر في هذا الانتقـال غير الموصوف من السلوك الاستباقي إلى السلوك الانفعالي، وفجأة يصبح المدير التنفيذي السابق عديم القيمة وينادى عليه بكلمة «حقير» أو «العجوز» بدلاً من «زعيم» أو «سيد» أو «السيد الرجل الأول». هذه النعوت والأوصاف الجديدة التي لا تمدح تفعل القليل لجعل المدير يشعر أنه مسؤول عما يجري له – أو يجري حوله. إذا ناداك شخص بكلمة «حقير» مرات عديدة، فإنك ستبدأ بالقول لنفسك: «آه – قد أكون حقيراً»، أخبرني بذلك أحد المديرين مؤخراً. ولم أتمكن أنا نفسي من كتابة ذلك بشكل أفضل.

الطريقة الجيدة بالنسبة للمدير المحكوم حتى يعرف إن كان بدأ بالانزلاق على هذا المنحدر الزلق إلى السلوك الانفعالي هي أن يستمع إلى الطريقة التي يتكلم بها.

تزودنا لغتنا بآثار تشخيصية نقرر بواسطتها إن كنا استباقيين أو انفعاليين، كما تبين الأمثلة الواضحة الآتية:

اللغة الانفعالية	اللغة الاستباقية
١- أرجوك لا تضربني بهذا الشيء الثقيل	١- سأفجر قنبلة يا أيها الـ...
٢- أرجو أن تنزل ذلك الشيء	٢- سأسلخ جلد رأسك، يا فم القرد
٣- أووف!	٣- (إلى الحارس) إنني لم أفعل شيء

إن وجدت نفسك تقول أي عبارة من عبارات العمود الأيمن، ولا تستخدم أي عبارة من عبارات العمود الأيسر، فقد وصلت إلى هذا الفصل في الوقت المناسب لأنك في طريقك الآن لتصبح حقيراً أو جحشاً بدون قيمة.

يواجه كل مدير في السجن خياراً بسيطاً: «إما أن تفعل، وإما أن يكون الفعل عليك».

إن القصة الآتية التي شاركني بها مدير يقضي مدة حكمه الآن في كولورادو لاستخدامه طرائق محاسبية توضح هذه النقطة.

وجد آلان ج (وهذا ليس اسمه الحقيقي) نفسه ينزل إلى سلوك انفعالي في اللحظة التي بدأ حياته في السجن، فكان خائفاً من أن يتورط في أعمال الشغب في السجن فيقاسي من أذى جسماني مبرح - بعيد عن أي خوف غير منطقي، يفترض أن زملاءه في السجن يرغبون بأعمال الشغب وإيذاء بعضهم بعضاً. إن المشكلة الوحيدة في مثل هذا



الخوف، كما اكتشف آلان ج، أن يكتشف السجناء الآخرون أنك خائف، عندها يخصونك بأشد الهجمات وحشية، كأن يضربون رأسك بالحوض أو بصخرة كبيرة مراراً. فإن كان تصرف المدير التنفيذي هو الصراخ «كتغيير للمقولة»، فإن ذلك المدير هو آلان ج.

قرر آلان ج أن يجري التغيير من كونه انفعالياً إلى كونه استباقياً بالطريقة الأكثر بساطة ومنطقية والتي يعرفها: وهي أن يبدأ أعمال الشغب هو نفسه بشكل يومي. بعدما عرف متى يحدث الشغب في السجن وكيف يحدث، راح يبدؤها بحسب برنامج زمني يختاره هو، واستمر على ذلك مما جعل آلان يشعر أنه قوي. والأكثر من ذلك، بدأ السجناء الآخرون ينظرون إليه على أنه مجنون خطير أو أنه مصاب بمرض نفسي وقد «يضرب» دون أي تحذير. وبالتالي أخذوا يبتعدون عنه خوفاً منه. ونتيجة لذلك بدأ السجناء الآخرون يتغيرون تدريجياً ليكونوا بدورهم الحقيرين وعديمي القيمة و... وهكذا يتبين أن تغيير المقولة يعمل عمله بالاتجاهين.

الجانب السلبي الوحيد لانتقال آلان. ج من السلوك الانفعالي إلى السلوك الاستباقي وضعه في الزنزانة المنفردة مرة واحدة على الأقل في الأسبوع الآن - ولكن هنا - على الأقل سجين ذو تأثير كبير لا يرى ذلك جانباً سلبياً، فيقول آلان ج (أقوم بتفكير أفضل عندما أكون في الزنزانة المنفردة). لا أستطيع أن أوافق أكثر لِمَ تكون العادة رقم ١، هي العادة الأولى.



العادة رقم ٢: إبدأ والهدف في ذهنك

أمـر هام آخـر يجـعلك سـجـيناً ذا تأثيـر عـال هو أن تتـصـور، إذا استطعت، كيف تحب أن يذكرك السجناء يوم تخرجك من السجن. وأمر آخر أكثر أهمية هو أن تتصور إطلاق سراحك يحدث أسـرع مما يتخيله أي شخص بمن فيهم القاضي الذي حكم عليك.

طبعاً، إذا اتبعت العادة رقم ١ (وهي كن استباقياً) فأمامك ورطة، عندما تبـدأ أعـمـال الشـغب في السـجن كل يوم وتُرسل إلى الزنـزانة المنفـردة، فـإنك لا تؤذي الطريقـة التي سيـذكـرونك بهـا عند مـغـادرة السجن فـحسب، لكنك أيضاً تبـعـد يوم خـروجك من السـجـن أكثـر مما تتـخيل. بينمـا يقـصـر السلوك الحسـن مـدة السـجن، ينتج عـن السلوك السيء، مثل بدء أعـمـال الشغب في السجـن يومياً، والعكس تماماً، فـإن لم تكن حـريصـاً، فيـجـوز أنـك تتطلع إلى سـيناريو يشـمل الـرئيس الذي يعفو عنك هو إما بارب (Barb) أو جينا بوش.

هل تجعل العادة رقم ١ من العادة رقم ٢ أمراً مستحيلاً أو صعباً حقاً، على أقل تقدير. إطلاقاً. كي يجابه المدير التنفيذي الآثار السلبية لبدء أعـمـال شـغب كثيـرة، يسـتطيع أن يفعل الكثيـر ليـعود إلـى نعم الحـراس. كبداية، يمكن أن يتعود على نقل أخبار النزلاء الآخرين سواء كانوا مذنبين بأي مخـالفة أم لا. بالنسبـة للمديرين المعـتادين على إلقاء اللوم بسبب التقصير في شركاتهم على شركة المحاسبة بيغ فايف Big Five، لن يكون التجسس على الزملاء فـي السجن مجـموعة مهارات جديدة. من جميع العادات السبع، هذه العادة هي المفضلة عندي - أسبل.

قد يتساءل بعضكم عن هذه النصيحة، لأنني في البداية عزلت «التجسس» كواحدة من العادات السيئة الثلاث الأولى والتي يجب تجنبها وراء القضبان. هذا صحيح لكنني كثيراً ما أحدد أنني كنت أقصد التجسس عندما يكون الشخص الذي تتحدثون عنه قد يراكم أو يسمعكم وأنتم تتحدثون. وكما تسرون، هناك خط رفيع جداً بين العادة السيئة والعادة الجيدة. على العموم، تصبح العادة السيئة عادة جيدة إذا لم يقبض عليك وأنت تفعل ذلك.

العادة رقم ٣: رتب الأشياء أولاً بأول

كان روبرت ف، مثله مثل عدد من المديرين، يخشى أن يطأ بقدمه أرض الحمام. فمن خوفه أن يعاقب على «استراقه النظر»، إذا وقع نظره مصادفة على الأعضاء الخاصة لسجين آخر، كان يغمض عينيه لحظة دخوله غرفة الحمام - لسوء الحظ، كان الرد على هذا الإجراء كارثة. فعند دخوله الحمام لم يكن يرى شيئاً، لذلك تكرر اصطدامه بالأشخاص العراة، أو وقعت يده على ما ظن أنه قبضة «الدش»، لكنه بالواقع كان شيئاً آخر. ونتج عن هذين الخطأين ردود أفعال أشد خطراً مما يمكن أن يحدث لو فتح عينيه ولم يغمضهما.

من الواضح أن روبرت ف كان بحاجة إلى «تغيير المقولة» وإلى «ترتيب الأمور أولاً بأول»: رتب الأمور بحسب أولوياتها ومن ثم تصرف بحسب ذلك الترتيب. أدرك أن الأولوية الحقيقية بالنسبة إليه لم تكن تجنب «استراق النظر» ذاته، لكن الأولوية كانت الخروج من الحمام

وارتداء ثيابه بالسرعة الممكنة. وأدرك روبرت ف أنه بعد ارتداء ثيابه يستطيع الانتقال إلى الأولويات الهامة - وهي بدء أعمال الشغب في السجن، والتحدث عن السجناء الآخرين.

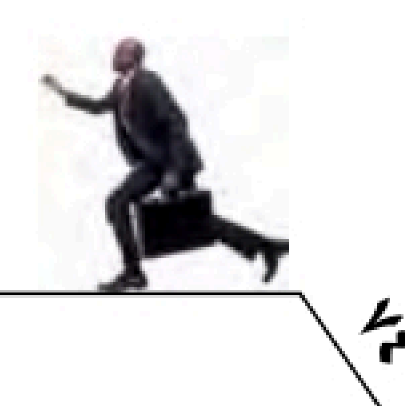
اليوم عندما يريد روبرت ف أن يستحم، فإنه يدخل غرفة الحمام ورأسه مرفوع إلى الأعلى وعيناه مفتوحتان، والأهم من ذلك، وجسمه مستور بثيابه. وبهذا يتمكن من الاستحمام بأقل من ١٢ ثانية. لم تؤمن له ثيابه قدراً من الحماية فحسب، لكن لبس الثياب في الحمام يدعم الانطباع بأنه مجنون أو مريض نفسي ويمكنه من الظهور دون أي تحذير - وهذه النقطة - كما قلنا سابقاً - ليست سمعة سيئة للسجين أبداً.

العادة رقم ٤: ليكن تفكيرك «اربح أو اربح»

إن الاستراتيجية المسماة «اربح أو اربح» نادرة ندرة مدهشة وراء القضبان، والاستراتيجية المتبعة كثيراً هي «اربح أو اصرخ متألماً»، وكذلك استراتيجية «اربح أو اركع أرضاً»، وحتى الاستراتيجية المخيفة جداً «اربح أو مت». يا للعار.

عند بداية إقامتي في لوماكس أدركت أنني سأتخذ استراتيجية «اربح أو اربح» إذا ما تمكنت من أخذ زميل الزنزانة سنيك إلى جانبي، أو إذا استطعت أن أجعله يتوقف عن أرجحة طوقه المعدني عند رأسي، لا بد أن يكون تجنيد سنيك كلاعب في فريقي تحدياً خطيراً. كيف أستطيع تقديم حافز لمجرم عتيد (ليس لديه ما يخسره ويستطيع خنقي بيد واحدة يعقدها خلف ظهره) ليكن البداية لنجاحي؟

سهل، جعلته مساهماً.



في اليوم الثالث: على وجودي خلف القضبان وبعد تدفق المال من مبيعات علكة النيكتوين، حركت ربطة من فئة العشرين دولار أمام وجه سنيك وقلت له هناك الكثير منها حيث أتت. (المجرمون العتاة وموظفو وكالة الأغذية والأدوية لديهم أشياء مشتركة كثيرة في آخر النهار، وهي أكثر من أن يهتموا بالاعتراف بها). أخبرت سنيك بأني سأبدأ شركة كبيرة في لوماكس وأنني أصدرت ١٠,٠٠٠ سهماً من فئة ب (لا يستطيع أصحابها التصويت) لصالحه عندئذ وفي زنزانتنا. وقلت له أيضاً إذا ما تمسك بهذه الأسهم فسوف تزداد قيمتها تدريجياً، وأنها أفضل من السندات والأموال النقدية أو العقارات، وقد تقوم في يوم من الأيام بتمويل تقاعديته. إن التفكير باستراتيجية «اربح أو اربح» لم يجعلني أكسب سنيك إلى جانبي فحسب، لكنني ضمنت خدماته لي كحارس شخصي - لأنه بحمايته لي، يحمي سنيك بيضة عشه.

تحذير وحيد: مع أن الوهم بأنه مساهم أثبت أنه قوة لسنيك، فقد لا يكون هذا الوهم مقنعاً بالقدر نفسه بالنسبة للسجناء كافة. كقاعدة عامة جاهزة، تعمل استراتيجية «اربح أو اربح» عملها مع السجناء الذين لم يفتحوا جريدة أو يروا أخباراً تلفزيونية خلال السنتين أو الثلاث سنوات الماضية.

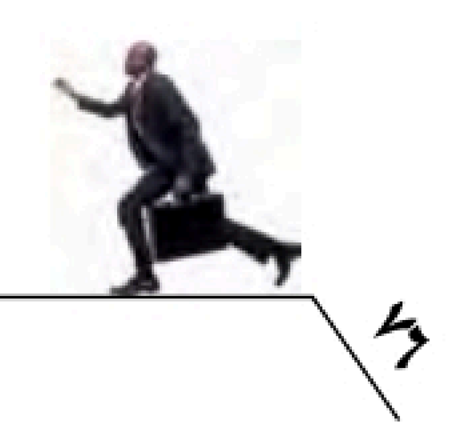
العادة رقم ٥: السعي لأن تفهم أولاً، ومن ثم تُفهم

هذه العادة تسلية كبيرة بالواقع. هل تذكر كل ما تعلمته من لغة السجن المعقدة التي تعلمتها في الفصل الخامس؟ إذا قمت بواجبك قياماً صحيحاً فإنك أودعت كل تلك الكلمات الملونة بالذاكرة بالإضافة

إلى ما يقرب من ألف مترادفة «للسكين المصنوعة محلياً» التي يعرفها السجناء، فقد أنهيت الجزء الأول من هذه العادة - «السعي لأن تفهم أولاً». والآن حان وقت الرد!

ليست «السكين المصنوعة محلياً» أقوى الأسلحة وراء القضبان - إنها اللغة التي يستعملها السجناء لإخافة الآخرين وتحديهم وجعلهم يفقدون توازنهم. أول ما وصلت إلى السجن كان واجبك فهم رفاقك المساجين. أما الآن، وأنت تكسب الثقة والسحر، فقد حان الوقت لأن يفهموك. فإذا جعلت هذه المهمة عسيرة عليهم، فإنك ستحصل على السيطرة عليهم سريعاً. ومع مرور الوقت، ستتمكن من إجبارهم على تنفيذ أوامرك حتى وإن كانت أن يرتكبوا أعمالاً قد تكون مخالفة للقانون. بعبارة أخرى، ستصبح مديرهم التنفيذي.

وكي تجعل مهمتهم في فهمك صعبة قدر الإمكان، ينبغي أن تبدأ الكلام بلسان فخم لا يكاد شخص على كوكبنا يستطيع أن يأمل بأن يفهمها. ولهذا الغرض، إني أنصح بخلق لغة جديدة تماماً مأخوذة من نصوص جلسات الكونغرس حول إفلاس شركة إيرنون، ورش بعض المختصرات بين الحين والآخر مثل GAAP (مدير محاسبة عامة) أو (مدير تدقيق حسابات) أو SPE (كيانات لأغراض خاصة)، فهذه تجعل زملاءك بالسجن يتقوقعون تحت جبل من الحيرة والارتباك. كما قلت في البداية، هذه العادة مسلية جداً.



العادة رقم ٦: الاتحاد / التعاون المشترك

عندمـا كنت أقـارن بـين عـالم السـجـن وعـالم الأعـمـال في هذا الكتاب، وأصل إلى مفهوم التعاون المشترك (الاتحاد)، لم يكن هذان العـالمان أكثـر اختـلافـاً. فكلمـة التعاون المشـترك لغز ذو استعمـالات كثيـرة في عـالم الأعـمـال ولا سـيمـا مـا يسمـى «الشـركـات ووسـائل الإعـلام المتحدة عـمـوديـاً». وفـي الشـركة العملاقـة فـي وسـائل الإعـلام الفـرنسيـة «فيفـانـدي» مـثـلاً، تسـتـخـدم كلمـة «التعـاون المشـترك» مـرة كل ١,٥ ثـانيــة، مـع أن المديـريـن التنفـيـذيـين هنـاك لـيس لديهم أي فكرة عـمـا تعنيـه هـذه الكلمــة - حـتى أولـئك الذيـن يتـحـدثون الإنكليـزية. رغم أن المديرين التنفيذيين فـي شـركـات وسـائل الإعـلام يحبون الحديث عن «التعاون المشترك» ولا سيما في «مهرجان وادي الشـمـس السنوي للمسـتـثـمـر الأمـثل» الذي يقـيـمـه هيـرب آلان، لا يوجـد مـا يدل علـى أن «التـعـاون المشـتـرك» مـوجـود فـي أي من هذه الشركات ولو بقدر بسيط.

أمـا فـي السـجن، من جهـة أخـرى، «فـالتعـاون المشـترك» مـوجـود وبشكل جيد. إذا كنت تمارس العادات الخمس كمـا وصفتها لك، لا بد أنك لاحظت كيف تعمل هذه العادات معاً بطريقة «التعاون المشترك» عملاً جيداً.

عندما وصلت إلى السـجن لأول مرة، كنت انفعـالياً وخـائفـاً من زميلك في الزنزانة، ومـضطربـاً بشـأن اللغـة التي يستخـدمهـا السجناء، كما كنت خائفاً من دخول الحمام.

أما الآن وبسبب هذه العادات فأنت استباقي تبدأ الشغب كل يوم، وتجعل زملاءك الآخرين يعتقدون أنك دائماً على وشك الظهور ولذلك لا يحب أحد أن يخالطك. وبسبب استخدامك حديث إيرنون الذي لا يُفهم، يحاول زملاؤك المحكومون جاهدين كي يفهموك. لكنهم مع ذلك يتظاهرون بأنهم يفهمونك وذلك لسببين: الأول، لأنهم يعملون لحسابك، والناس عادة يتظاهرون بفهم رئيسهم؛ والثاني، لأنهم حملة أسهمك؛ وحملة الأسهم دائماً يريدون الاعتقاد بأن المدير التنفيذي لشركتهم التي يساهمون فيها يعني شيئاً، حتى حين ينطق بأشياء غير مفهومة أبداً. فمعاشهم يعتمد عليك الآن، لذا فإنهم سيكونون آخر الناس على الكرة الأرضية الذين يقولون: «إن الإمبراطور لا يلبس شيئاً» – خصوصاً وأنك الآن «الإمبراطور وتدخل الحمام وكامل ثيابك عليك». شيء جميل.

العادة رقم ٧: اشحذ منشارك

ينشغل المديريون التنفيذيون المحكومون بممارسة العادات الست الأولى، وينسون العادة السابعة غالباً وهي التي قد تكون أهم عادة بين العادات كلها. بالاختصار، إنهم ينسون تكريس وقت «لشحذ المنشار».

عندما أقول: «اشحذ منشارك» فماذا أعني تماماً؟ هل أعني، خذ الوقت لتجد نفسك عقلياً وجسدياً؟ أم هل أقصد شيئاً ما أعمق جداً – أن تكرس الوقت حتى تجدد نفسك، روحياً واجتماعياً وعاطفياً؟

بالواقع، عندما أقول: «عليك أن تشحذ منشارك»، فإنني لا أقصد أياً من تلك الأشياء. إنني أعني بذلك أن تضع يديك على منشارك وتشحذه. ففي السجن من المفيد حقاً أن يكون لديك منشار حاد.

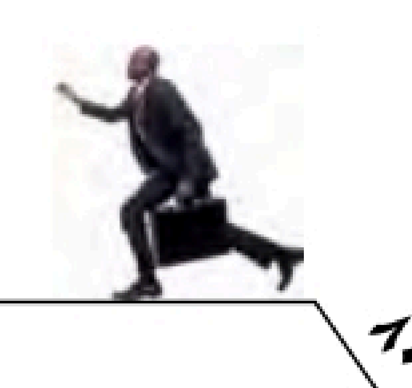




زنزانة السجن فينغ شوي

Feng Shui

إذا مارست العادات السبع كما هي مفصلة في الفصل السابق، فلا بد من أنك أصبحت المدير التنفيذي للسجناء في السجن بكل قوة، والسيد المطاع لكل من تفحصه منهم. ولا بد أنك لاحظت، من نظرات الحيرة والارتباك التي ينظر بها إليك زملاؤك السجناء، أنهم يخافونك أكثر مما يحبونك. وهذا شيء جيد. وبالواقع إن الشيء الجيد في السجن أن يخشاك زملاؤك، أما أن تكون محبوباً لديهم فهذا آخر شيء تريده.



أنت الآن جاهز لتبدأ العمل، ولذلك فسوف تحتاج إلى مكتب يناسب لقبك، كمدير تنفيذي، الذي حصلت عليه بالجهد، طبعاً. كان اختيارك لمكان المكتب أعظم عندما كنت تدير شركة فورتشن ٥٠٠. في تلك الأيام كانت الشركات التجارية والعقارية عملياً تترامى عليك لأنها تعرف أنك تنفق أموال شركتك مثل بحار سكران. من جهة أخرى، قد تكون زنزانة مساحتها ٩ × ٩ قدم وذات قضبان حديدية وليس فيها نافذة - بعيدة جداً عن رمز للمكانة والوضع، لكنها أكثر من كافية لاحتياجاتك. لعل الأمر الرئيسي في جعل مكان العمل يسهم في تحقيق الأهداف هو تحقيق الانسجام معه - ولا أفضل من تحقيق الانسجام من خلال فن فينغ شوي.

فينغ شوي (وتلفظ فانغ شوي) عبارة نادراً ما يسمعها المرء في السجن، وذلك لأن إساءة لفظها يسبب دماراً كبيراً. لكن هذا الفن الصيني القديم لخلق بيئة تامة، تساعد مكتبك في السجن فتعوض بالهدوء والانسجام والاهتزاز الجيد ما ينقصه من تهوية وتدفئة وتمديدات مياه صالحة.

يجد السجين الوسط زنزانته فارغة وغير مريحة، والشكوى العامة فيها «لا يوجد فيها شيء». من دواعي السخرية أن فراغ الزنزانة ذاته، بحسب مبادئ فينغ شوي، مصدر قوة روحية كبيرة. يعلمنا فينغ شوي، أن خلق بيئة بدون قرقعة هو الأمر المطلوب الأول لزيادة الطاقة (وهي تشي Chee)، وانتبه ألا تختلط بكلمة «Chees eater آكل الجبن» في السجن ومعناها «مخبر». في واقع الشركات ينفق عدد من المديرين



آلاف الدولارات ليستعينوا بخبراء البيئة من فينغ شوي لتخفيف القرقعة في مكاتبهم. وينصح هؤلاء الخبراء دائماً بإهمال الأشياء غير الضرورية والتي تشتت الانتباه كالكتب الضخمة المليئة بالمعايير المحاسبية وتعليمات... لن يكون أمثال هؤلاء الخبراء المكلفين جداً ضروريين بما أنك الآن في السجن. وبسبب الغياب الكامل لكل شيء في زنزانتك فأنت في منتصف الطريق حتى تتجز الجو الخالي من القرقعة والمليء بالطاقة (تشي).

وبعد الحفاظ على فراغ الزنزانة الكامل تقريباً، هناك أشياء كثيرة يستطيع المدير التنفيذي المحكوم فعله ليتأكد من أن مكان عمله ملون بألوان تلبي مبادئ فينغ شوي. إليك إذن قائمة مختصرة لتدفق الخطوات التي ينبغي أن تتخذها لتحقق الانسجام الأمثل مع زنزانتك في السجن:

- **ضع سريرك بحيث تواجه القضبان وليس العكس**، فمواجهتك إلى الخارج من خلال القضبان يخلق شعوراً بالانفتاح العريض فيزيد من الطاقة (تشي). فضلاً عن فوائد هذه الطاقة جميعها، تساعدك مواجهة العالم الخارجي على رؤية الحارس حين يأتي، وهذا قد يساعد عندما تكون في خضم صفقة تشمل كدسات كبيرة من المال وأكوام من الأسلحة.

- **استخدم القوى الإيجابية التي تتدفق خلال زنزانتك في السجن؛** يعلمنا فينغ شوي أن الجهات المختلفة تحكم قوى إيجابية مختلفة في بيئتنا. فالشمال مثلاً يحكم النجاح المهني والعلمي، بينما

يحكم الجنوب الشهرة، ويحكم الجنوب الغربي العلاقات. إن أحد الأمور العليا للعيش في زنزانة مساحتها ٩ × ٩ قدماً أنك تستطيع الوقوف في وسطها، وتحرك ذراعيك في جميع الاتجاهات وبذلك تمتص تلك القوى الإيجابية كلها في الوقت نفسه.

- **كن مرتاحاً مع معدات مكتبك**

أمر هام أن يكون لديك معدات مكتب في زنزانتك وأن تشعر بالراحة معها وأن تفهم عملها تماماً. فلتمزيق الوثائق مثلاً، اختر أكثر القطع المتوفرة والموثوقة: يستطيع زميلك الذي خضع لك حديثاً، سنيك مثلاً، أن يمضغ عشر صفحات من الوثائق ويبلعها في الدقيقة الواحدة. تتحدث عن الطاقة!

- **حسن الإضاءة في زنزانتك**

إن الضوء في معظم زنزانات السجن لا يكفي بالنسبة لكمية القراءة التي يجب أن تقوم بها، ولاسيما عندما يبدأ عملك بتوليد تلال من الأعمال الورقية التي تجعل الأمور مركبة قصداً، وكشوف حسابات مضللة، وهي بمثابة حليب الأم للرأسمالية الأمريكية. مع أن معظم السجون ترفض تزويدك بضوء خاص لطاولة المكتب، فهذا ليس خسارة كبيرة لأنك أصلاً لن يكون لديك طاولة مكتب. لعل أفضل رهان على إنجاز إضاءة أفضل هو ما يلي: قم برشوة الحارس فيدعك تتسلل إلى مكتب الناظر عند غيابه كي تستطيع استخدام طاولته وضوئها وغلاية القهوة. وفي نهاية النهار، يوصلك فينغ شوي إلى هذا الحد فقط.

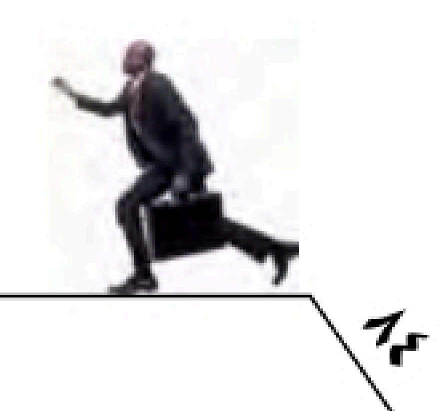


٩

نظام سيغما ٦ للعمل بتناغم

كيف يبدأ المرء عملاً كبيراً من وراء القضبان – سيكون ذلك العمل أشبه بالسجن الذي يحتضنه، «بني ليبقى»؟

إن كل عمل كبير داخل السجن، حسب خبرتي، يبدأ بفكرة كبيرة. وفي حالتي، تعثرت بفكرة العمل بالمصادفة.



في أحد الأيام، بينما كنت أكسر الصخور في باحة السجن، لاحظت سجينين على مسافة قصيرة مني يضربان بعضهما بالمطارق. ألحق السجينان أذى كبيراً ببعضهما حتى أتى الحراس الذين كانوا في استراحة لتدخين سيجارة وفصلوا بينهما، حيث بدا النزيلان مصابين بجروح خطيرة، وبدا أن واحداً منهما فقط على قيد الحياة، لاحظت أن ثيابهما لم يحدث لها شيء. فكرت في نفسي، «مَن غير السجناء يمكن أن يستخدم ثياباً لا تبلى طيلة مدة العقوبة؟» بعد جزء من الثانية، أتاني الإلهام.

لاعبو كرة القدم.

إن نمط حياة لاعب كرة القدم المتوسط، برأيي، يشابه إلى حد كبير من حيث العنف نمط حياة سجين في السجون الفيدرالية ـ وربما كان نمط حياته أكثر عنفاً.

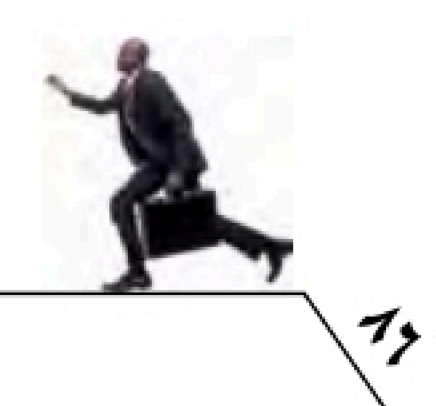
صلب الموضوع: إن لعبة كرة القدم النظامية المفتوحة التي يتناول اللاعبون فيها بعضهم بعضاً بالقبضات والأظافر والأسنان وحقائب اليد، هي أكثر خطورة بعشر مرات من الشغب الحاصل جراء مشاجرة في السجن. بعد قولنا ذلك، إن النساء يقمن بهذه الأعمال قد لا يلبسن ملابس مناسبة للمعركة، بل يلبسن ثياباً ذات علامات تجارية مثل (الرالف لورين، البرادا والدكني) بدلاً من اللباس الموحد الذي قد يصمد تحت كل هذا الضرب والخدش والعض. أشعر أنك تدرك ما أرمي إليه من هذا.

الدخول في الموضوع مباشرة:

إذا نظرت في أي مجمع تسوق في ضاحية سكنية هذه الأيام، فإنك حتماً سترى امرأة من سكان تلك الضاحية تلبس زياً واحداً قد أصبح بشكل أو بآخر الزي الموحد النظامي من مخلفات لاعبي كرة القدم في كل مكان: بذلة برتقالية على شكل بذلة السجن، مخططة بكلمات، أملاك مصلحة سجن الولايات المتحدة في لوماكس.

عندما دفعوا مبلغ ٨٩٩ دولار لشراء هذه القطعة من أحدث الأزياء، من المحتمل أن يفترض لاعبوا كرة القدم أنه كان من إبداع أحد مصممي أزياء نيويورك الذي استغل ذكاءه في وضع الزي الموحد للسجناء وإيجاد عبارة موضة رائجة في العملية. قليلاً ما شكّوا أن الثياب الخاصة التي يلبسونها لاجتماعات الآباء والمدرسين وصفوف الدين يوم الأحد، هي في الواقع ثياب السجن الموحدة الحقيقية والتي هي في الحقيقة تعود إلى سجن الولايات المتحدة لوماكس - وهي المصادرة بكلفة ٢٤ دولار للبذلة الواحدة.

بل أكثر من ذلك، ما كانوا ليظنوا أن هذه الثياب قد شحنت من السجن إلى مراكز البيع بالتجزئة في الضواحي بواسطة شركة تأسست وتدار من قبلي - شركة سميتها «سكامو». بتشغيل هذا العمل بدون معرفة آمر السجن ومساعده أو أي من مرافقيه التسعة، وفي الربع الأخير فقط، بلغت مبيعات سكامو من ثياب سجن أمريكا الشمالية مبلغ ٣٥٠ مليون دولار. وما لا يصدق أن ذلك هو الحد الأدنى ومعظم المبلغ ٣٥٠ مليون دولار هو ربح صافي يدخل في الميزانية التي ما كان علي حتى الإطلاع عليها خلسة، فهذا جيد بالنسبة لي.



هل أنت متأثر؟ لا بد أن تكون كذلك، لكنني بالتأكيد لا أستحق كل ذلك الفخر. الكثير من هذا الربح يجب أن يعود إلى السجناء الذين عملوا لحسابي، وهم أعظم قوة عاملة أسيرة رأيتها في حياتي. ولكن ما كنا لنجعل الشركة تنجح لولا أني أنجزت أولاً نظام الجودة التنظيمي الذي وضعه «نيوترون جاك» بشكل أسطوري وهو النظام المعروف باسم «سيغما ٦».

لقد اخترت هذا النظام كنظام إدارة للجودة لمشروعي التجاري الجديد، بعد أن رفضت البديل المعروف، النظام المعروف بإدارة الجودة الكلية (TQM). أين ينجح نظام سيغما ٦ حيث يفشل نظام إدارة الجودة الكلية ؟ بعد قراءة كتب حول كل من النظامين، وجدت أنني أستطيع أن أفهم فقط ١٨ بالمائة من نظام إدارة الجودة الكلية، بينما فهمت ٢٩ بالمائة كاملة من نظام سيغما ٦. بوجود هذه الأرقام، لم يعد هناك أي نقاش.

عندما قررت أن أبدأ إمبراطورية البليون دولار في الموضة من بين جدران السجن ذي الإجراءات الأمنية العالية ، كانت إحدى التحديات: كيف يمكنني أن أجعل عدد من السجناء المتمرسين في الإجرام، وهم أكثر من أربعة آلاف – العديد منهم كانوا قد حاولوا قتل بعضهم البعض في إحدى المراحل خلال الأسابيع السابقة – يعملون كفريق لإنجاز الأهداف نفسها؟ الجواب طبعاً هو الدخول في نظام سيغما ٦ .

أولاً، أختار تسعة سجناء ليكونوا «الأحزمة السوداء» في نظام سيغما ٦، ومدربي نظام سيغما ٦ ذوي المهارة العالية الذين سيدربون و يشجعون و بشكل عام يُفزعون كل مرؤوسيهم. عند اختيار «الأحزمة

السـوداء» فـي نظام سيغمـا ٦، ينصح بشـدة أن تختـار تسـعة سـجناء ممن هم إضـافـة إلى كونـهم «أحـزمـة سـوداء» في نظام سـيـغمـا ٦، هم أيضـاً «أحزمة سوداء» في الكاراتيه. لقد وجدت أن نظام سيغما ٦ يعمل بشكل أفضل عندما يكون المديرون ذوي أيد قوية بمثابة أسلحة مميتة، قـادرة على طقطقـة رقـاب المرؤوسين و ظـهورهم مـثل عـيـدان الكبـريت إذا لم تتحقق الأهـداف الموضـوعـة في نظام سـيـغمـا ٦. يـرسل هؤلاء الأحـزمـة السوداء إشارة واضحة: إنه طريق السيغما ٦ أو الطريق العام!.

حالما يتم اختيـارهم، يكون للأحزمـة السوداء جلسـات تدريبية خـاصة مع فـرق السـيـغمـا ٦ التـابعـة لهـم كل يوم فـي حمـام السـجـن. يتم تدوير خـراطيم الماء بأعلى درجـة لمنع عناصـر طاقم السـجن من الاسـتـمـاع لجلسـات التـدريب الهـامـة، ويجب على الأحـزمـة السـوداء توجيـه أسـئلة سيغما ٦ الرئيسية على أعضاء الفريق وهم عراة :

١ كم بـذلة سـجن قـد هـرّب أصـدقـاؤك الذين تحـبـهم إلى خـارج السجن هذا الأسبوع ؟

٢ كم من البذلات أخبرت الحراس أنها سـرقت في قسمك ومن على جـسـمك عندمـا كنت نائمـاً في الليل في هذا الأسـبـوع؟ أو أنهـا تفسخت بشكل غامض بدون تحذير؟

٣ كم مـركـز بيع بالتـجـزئة اتصلت بهم من هـاتفك الخـليوي الخـاص لتـقـرر مـسـتوى رضـاهـم عن شـحن البـذلات التي اسـتلمـوهـا هذا الأسبوع، إضافة إلى الطلبات الإضافية للمزيد من البذلات ؟



٤ كم من الحراس أو عمال السجن الآخرين قمت برشوتهم هذا الأسبوع بعلكة النيكوتين، بالنقود، أو بأسهم الفئة B لتجعلهم يسكتون عن كل هذه البذلات التي نقوم ببيعها ؟

٥ كم مرة أخبرتك أن «لا تحدق» بينما أنت في الحمام؟ توقف عن ذلك وإلاركلت مؤخرتك.

السؤال الأخير كان مشاركة من سنيك الذي أصبح بسرعة واحداً من أشد الأحزمة السوداء لدي بسبب قدرته الفريدة على إدراك ما يشجع السجناء وما لا يشجعهم.

إضافة إلى خاصة المراقبة، أصبح نظام سيغما ٦ المفتاح لحفظ نظام سلسلة التوريد والتوزيع في لوماكس الذي يعمل مثل آلة مزيته بشكل جيد. إليك هذا المثال، عندما بدأ آمر السجن يلاحظ أن المئات من بذلات السجن تُفقد كل أسبوع، قام بعمل مباشر: بدأ بطلب المئات من بذلات السجن الجديدة من شركة التوريد الحكومية. لو حصل تباطؤ في أي وقت في استلامنا لهذه البذلات الجديدة، ومعالجتها، وشحنها إلى خارج السجن إلى مراكز البيع عبر الريف، لتأثّرت هوامش ربحنا إضافة إلى مستويات رضى زبائننا بشكل عكسي. ولكن، بتوظيف أعضاء فريق سيغما ٦ في كل نقطة رئيسية من سلسلة التوريد – من الحراس على البوابة، إلى العمال على رصيف التحميل، إلى المساعدين الإداريين في مكتب آمر السجن – كانت البذلات الجديدة تشحن عادةً يوم وصولها إلى السجن، بدون أن تلمس ظهور السجناء. يسمي بعض الناس ذلك بالمعجزة. لهذا، أتصور أنها معجزة سيغما ٦.

هل يمكن لنظام سيغما ٦ أن يعمل في أي مؤسسة تجارية على أساس السجن؟ من المبكر قول ذلك، ولكن إلى حد ما، النتائج مشجعة. أحد أصدقائي من المديرين التنفيذيين يعمل في كاليفورنيا، ويدير عملاً ناجحاً في تصنيع لوحات الترخيص التي ليس لدى إدارة المركبات أدنى فكرة عنها، يقول أن أرباحه المدهشة تصل إلى ٩٠٠٠ بالمائة بفضل نظام سيغما٦. يقول هذا الشخص: «باستخدام سيغما ٦، يمكنني أن أبقى على معرفة بما يفعله كل سجين في كل ساعة في اليوم». «كل ما يمكنني قوله، إنه شيء جيد ألا تصدقه الدائرة الفدرالية الرسمية للسجناء.»».





١٠

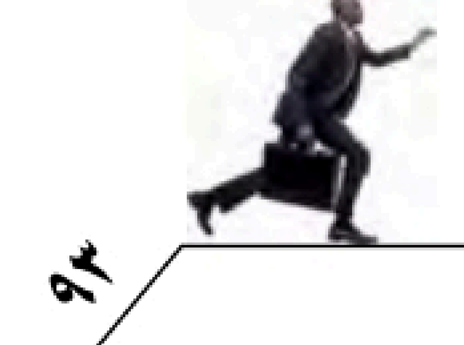
المديرات السجينات
الانطلاق من السقف البيتوني

رغم أن النواب العامين في الحكومة اتهموني بالعديد من الأشياء ومنها استخدام أموال تعويضات العمال في شركة شامكو لبناء خزان رطب لخزن السيجار والتبغ (هيوميدور) بمساحة ١٢٠٠٠ قدم مربع، لكن الشيء الوحيد الذي لم يتهمني به أحد هو التمييز الجنسي. ولكن مثل هذه التهمة كان من الممكن أن توجه لي مع بعض التبرير لو لم

أخصص فصلاً واحداً على الأقل للتحديات الفريدة التي تواجه المديرات السجينات اللواتي يجدن أنفسهن وراء القضبان. وحيث أن التمييز الجنسي إلى حد ما هو الشيء الوحيد الذي لم يجدوني مذنباً فيه، فقد رغبت أن أبقيه على ذلك الشكل.

أعتقد أن علي أن أذكر في هذه المرحلة أنه مع أنني لم أُتهم شخصياً بالنسبة للتمييز الجنسي، فقد تلقت شركة شامكو بعض الهجمات الرخيصة في ذلك المجال. تلوثت سمعتنا تلوثاً ظالماً بعد أن دخلنا في الفصل الحادي عشر، عندما تم اختيار العديد من موظفات شامكو السابقات لعرض صور أوضاع «نساء شامكو» الأكثر إثارةً في مجلة راك الدعائية Rack. الصورة التي عُرضت فيها النساء وهن يلقمن ثيابهن إلى آلة إتلاف الورق السريعة قد تعطي بعض القراء الانطباع بأننا في شامكو مهووسون بالجنس، ولكن في حقيقة الأمر كنا في معظم الأحيان نعيش بهاجس البقاء على بعد خطوة واحدة من الاستخبارات الفيدرالية.

ولكن كان على شامكو أن تواجه التهم الجنسية قبل مدة طويلة من ظهور تلك المجلة المصورة غير الأخلاقية. فمنذ زمن بعيد، عندما كانت شامكو ما تزال مؤسسة صاعدة وكان موظفوها يتمتعون بحرية التجول في الطرقات، أخذت شركة «وسل بلوور» على عاتقها اتهام الشركة بمختلف التهم السيئة ومن ضمنها ما سمته «خلق بيئة عمل عدائية». كل ما أستطيع قوله في هذا هو، حسناً - سيكون الناس عدائيين إذا بقيت تدور حولهم وتنفخ في صفارتك طوال النهار. بصراحة، أنا لست



بحاجة إلى صفارة إنذار لتقول لي ما هو الخطأ في شركتي، حيث أنني أميل إلى أن أكون بنفسي أقسى ناقد لنفسي. ولكن عندما أفكر حول ما كانت عليه شركة شامكو المشجعة للنساء، فإنني لا أجد أدنى فكرة حول ما كانت صفارة الإنذار تلك تحاول أن تحذر منه.

خلافاً لشركات وول ستريت المشاكسة التي لن أذكر أسماءها، لم يكن في شامكو ما يسمى بغرفة الترويج الصاخبة «بوم بوم روم» حيث يتعرض طاقم العمل من النساء للمضايقة من قبل زملائهن من طاقم العمل من الرجال. في الحقيقة إن مباراة شامكو للقمصان الداخلية هي الوحيدة التي أقيمت في مطعم وبار سينيور المجاور والذي كان فيها الإداريون من الرجال يحدقون في عناصر طاقم العمل من النساء. كان الحدث من فكرتي، كرد فعل على الاتهامات لمراقبنا. اعتقدت أنها الفرصة لإظهار أننا فعلياً نهتم بالنساء فقدمنا التسلية من خلال إقامة أمسية للتسلية يستمتعن هن بها على وجه الخصوص. على الرغم أنه لم تعرض أية امرأة من طاقم العمل تلك الليلة بشكل فاضح، فإنني ما أزال أؤمن أنه كان للحدث قيمة رمزية حيث أوصلت الرسالة «في شامكو كانت تحكم المساواة».

كان ذلك صحيحاً في الهيئة الإدارية. ففي شركتنا، شغلت النساء الكثير من الوظائف الإدارية العالية وقد أوكلت إليهن معظم المهام الهامة، ومن ضمنها اقتحام المكاتب المقفلة لشطب رسائل الإيميل والأيمان الكاذبة في المحكمة الفدرالية. بالنتيجة، حتى هذا اليوم تملك شركة شامكو أكبر عدد من الموظفات الإداريات وراء القضبان، أكثر من

أي شركة فورتشن ٥٠٠ سابقة. مع أني فخور بهذه الإحصائية، مرة أخرى أنا لا أطلب فضلاً بذلك - الفضل، الذي أعتقد أنه يعود بشكل عادل لتلك النساء المجدات في العمل.

بهذا العدد الكبير من موظفات شامكو اللواتي يمضين أحكاماً طويلة من السجن حالياً، كنت محبطاً حيث أنه لم توافق أي منهن على التكلم معي حول تجاربهن وراء القضبان لأعرضها في هذا الفصل. علاوة على ذلك، أدركت أن العديد من الرسائل الغاضبة التي أرسلوها رداً على أسئلتي المكتوبة كانت مؤلمة وغير مشجعة إطلاقاً. ومع ذلك، فقد سجلت بعض نقاط المرارة التي يتحملنها في كفاحهن حالياً في السجن، بيئة العمل الأكثر عدائية بعشر مرات مما كانت عليه في شامكو، بغض النظر عما كانت الناظرة تقول حول ذلك.

لحسن الحظ، ربما الموظفة الإدارية الأكثر شهرة وراء القضبان اليوم كانت ترغب بالحديث معي حول خبراتها في السجن: كلاريسا هويدن، مديرة سابقة في وسائل الإعلام الضخمة كلاريسا هويدن، المرأة التي لا يلين اهتمامها بتفاصيل التدبير المنزلي وترتيب الحديقة والتسلية مما أوحى للصحف الصغيرة أن يلقبوها بـ «الإمبراطورة المنزلية».

ابتداءً من أوائل خطة عملها التي رسمتها على طاولة المطبخ لديها بواسطة عبوة جل لتزيين الكيك، أنشأت كلاريسا هويدن امبراطورية وسائل/منتجات للمستهلك ببلايين الدولارات مما قد يسميه بعض علماء النفس اضطراب مزاج غير معالج. بدءاً بنشر مثل تلك الكتب المفيدة مثل كتاب طبخ كلاريسا هويدن، وحفلة كلاريسا هويدن،

وكلاريسا هويدن لتجعل ضيوفك يغادرون المنزل والبيت قبل أن يأكلوك، انتقلت كلاريسا تدريجياً إلى عالم البرامج التلفزيونية المربحة والفيديو التعليمي، وأخيراً أصبحت موردّة رائدة للستائر والأغطية المنزلية، وأدوات المائدة، وأنظمة الصواريخ البالستية القصيرة المدى والمتوسطة المدى، متحديةً نقادها، أبقت كلاريسا عينها على الجائزة وحققت الحلم الأمريكي: بعمر الواحدة و الأربعين، اعتبرت أكثر امرأة مكروهة في الولايات المتحدة على نطاق واسع.

ولكن بعد ذلك، في آب ٢٠٠٢، انهار حلم كلاريسا. كانت قد أمضت يوماً كئيباً وهي تبحر من ساحل مونتوك في جزيرة «لونغ آيلاند» على متن طوافتها ذات المحرك التي تبلغ سبعين قدماً س.س. كونترول فريك. من على متن هذا المركب المفزع كانت كلاريسا تحكم إمبراطوريتها المترامية الأطراف مرسلة رسائل الإيميل المقشعرة إلى عناصر طاقمها من غير الأكفاء حول العالم. إضافة إلى ذلك، لقد طردت ربان مركبها، الذي كان قد استغرق في النوم وتأخر عن لقاء كلاريسا في موعد الانطلاق الساعة الخامسة صباحاً، بإطلاق سلسلة من الإشارات الغاضبة التي كان ينظر إليها بشكل بائس من الرصيف. في نهاية النهار، توردت بكياسة ووجهت دفة مركبها نحو اليابسة على أمل أن ترسو في حوض مطعم محلي يدعى سناب هاربور. و لكن عندما رفض صاحب المطعم أن يتركها ترسي مركبها، حدثت سلسلة من الأحداث التي غيرت حياة كلاريسا إلى الأبد.

اختلفت الحسابات تماماً مما قد حدث فيما بعد، في محاكمتها، ادعت كلاريسا بأنها لم توجه مركبها إلى النادي بنوبة غضب خلافاً لما أقسم عليه اثنان وثمانون من الشهود بأنها فعلت ذلك. على العكس، قالت إنها كانت تحاول أن توجه مركبها بعيداً عن الشاطئ، ولكن بدلاً من أن تسحب العتلة المكتوب عليها «الخلف» سحب بالخطأ العتلة المكتوب عليها «الأمام». ولكن ربما خُتم حكم كلاريسا بتلك الشهادة اللعينة لحارس النادي الليلي الذي شهد أن كلاريسا ذهبت «كلياً بموقف الضارب» وصرخت «ضع فمك في قفاك» قبل أن ترسل جسم مركبها نحو المطعم وهي تجرفه. بغض النظر مَن تصدق ـ وكزميلة سجن، أنا أميل إلى تصديق كلاريسا ـ كانت نتيجة هذا الحدث المشؤوم قضية في السجل العام. جرح مركب كلاريسا عدداً من رواد المطعم، والأسوأ من ذلك أيضاً، أدى ذلك إلى إغلاق المطعم حتى نهاية آب وهو شهر الموسم العالي لذلك المطعم.

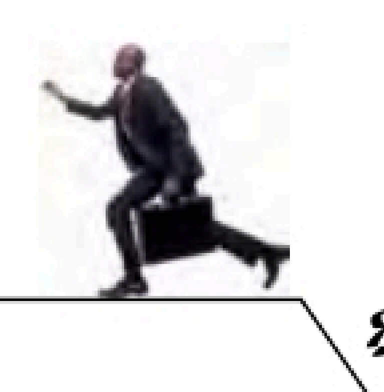
كلما كانت الشرطة تبحث في حطام السفينة كانت حالة كلاريسا تسوء أكثر فأكثر. اكتشف المحققون وثائق حساسة للشركة كانت قد خُزّنت في السفينة وقد قدمت تلك الوثائق دليلاً حول برنامج تثبيت أسعار مصمم لجعل سعر التجزئة لأطقم أدوات التقطيع تعلو إلى مستويات ليس لها سابق. إضافة إلى ذلك فقد وضعوا أيديهم على العديد من الوثائق التي تعتبر كمفتاح للحصول على دليل قاطع بأن كلاريسا كانت قد انتحلت بعضاً من أشهر وصفاتها من كتيب الوصفات التي كانت ترافق فرن الخبز السهل. احتفل النساء في جميع أنحاء أمريكا بهذه الأخبار بطريقة صاخبة ومعربدة شائنة بتشجيع من مستخدمين في الصحافة.

لم تأت محاكمة كلاريسا التي كانت تبث بشكل مباشر في المحكمة والتلفزيون وشبكة الطعام لصالحها أبداً. إن عملية التجميل التي كانت قد أجرتها على وجهها قبل عام لتبدو أصغر سناً وأقل ترهلاً، كان لها، لسوء الحظ، أثار جانبية سيئة أغلقت مجاري الدمع لديها بشكل دائم. بالنتيجة، كان من المستحيل لكلاريسا أن تبكي أثناء محاكمتها، الأمر الذي حال دون أن تظهر أو حتى تتظاهر بالندم.

بعد شهر واحد، بدأت كلاريسا بتنفيذ حكمها في المؤسسة الفدرالية لسجن النساء في بلدة كاتسكرتش فيفر، جورجيا. ها هي تروي قصتها بنفسها:

في البداية، عندما أتيت إلى كاتسكرتش، كنت قلقة حول طريقة المعاملة التي سأتلقاها. تسمع قصصاً كثيرة حول الأشخاص المشهورين الذين يعاملون معاملة سيئة من قبل السجناء الآخرين، لذلك كنت أتهيأ للأسوأ. ولكن عندما حصل الأمر، تبدد الكثير من مخاوفي. الكثير من النسوة هنا سموني «عاهرة»، ولكن إذا كان على أحد أن يتعود على ذلك فهي أنا.

لقد أمضيت ساعات طويلة وحيدة في زنزانتي وأنا أحاول التفكير بعمل يمكنني أن أديره في السجن. في ذلك الوقت كانت الزنزانة لي وحدي حيث أن زميلتي في الزنزانة كانت قد أُخذت إلى «جناح الناقوس» وهو ما يسمونه هنا بالجناح النفسي. بمختصر الحديث، أخبرت الحراس بأنها كانت تراني أصنع زينة أعياد الميلاد ورجال من كعكة الزنجبيل في الساعة الثالثة صباحاً، وفي منتصف تموز افترضوا أنها كانت تهلوس. كنت سعيدة لذهابها، لذلك تركتهم يعتقدون ما اعتقدوه.



كنت أجد صعوبة في التفكير في زنزانتي، لأن النساء في الزنزانة المجاورة كن يتجادلن دائماً في ساعات الصباح المبكرة بلغة من شأنها أن تقشر الدهان من قضبان الكرسي المجدولة التي قد تجدها في ساحات البيع في الجزيرة. في البداية كنت سأطلب منهن أن يخفضن أصواتهن، ولكن فيما بعد أدركت أن: هذه هي الفكرة التي كنت أبحث عنها.

حالياً، أنا مديرة رابع أكبر مؤسسة أمريكية في مجال ممارسة الجنس على الهاتف في أمريكا، بمجموع أرباح تزيد عن ٦٠٠ مليون دولار أمريكي من غير ضريبة وأعني بذلك أنه لا يوجد ضريبة. يبدو أن سوق الأشخاص الذين يرغبون بالتكلم مع سجينات بذيئات في تزايد كبير بشكل يومي، مع أننا لم نقم بغطسة إلى الشرق الأقصى بعد، والتي نتوقع أن تكون ضخمة. حسبت أنني قد أقلق بشأن المنافسين، ولكن لم يحصل ذلك. فإذاحاولت إحدى السجينات الأخريات هنا أن تؤسس عمل جنس على الهاتف، فلدى «مجلس الإدارة» الخاصة بي طرق تجعلها تتوقف على الفور. حتى أن (تلك الفتيات يخفنني أنا). إن إدارة شركة وراء القضبان كانت شيئاً رائعاً ومرضياً، ولكنني سأكون كاذبة إذا قلت بأنني لم أزل أعاني من التمييز الجنسي أحياناً.

تعامل المديرة الأنثى في السجن بشكل مختلف عن المدير السجين ـ وبشكل جائر أحياناً. على سبيل المثال، السجينات اللواتي يتشاجرن مع بعضهن بالمجرفات وأدوات الحديقة الأخرى تُنتقدن بكونهن «عاطفيات أكثر من اللازم»، ولكن عندما يقوم السجناء الرجال بالتصرف نفسه فينظر إليهم بإعجاب لكونهم «أشداء». أتتحدث عن ازدواجية المعايير! أعتقد أن هذا يعني بأننا نحن «المديرات السجينات» قد قطعنا شوطاً طويلاً في هذا البلد، ولكن مازال أمامنا طريق طويل لنمضيه.



١١

هل منشارك المعدني مصاغ من ذهب، وإلى أي مدى؟ استراتيجيات الخروج

من المناسب، على ما أعتقد، أن الفصل الأخير من هذا الكتاب هو الفصل الحادي عشر. أعتقد أنه من الأفضل الإشارة إلى ذلك قبل أن يفعل ذلك بعض القراء الحاذقين.

أي قارئ يتابع التعرف على إعادة تنظيم الإفلاس في الفصل الحادي عشر، سيعلم أنه بينما يأخذ طريقه إلى النهاية، يكون أيضاً كبداية ـ بداية مفعمة بالنشاط. هذه كانت الحالة تماماً عندما تقدمت



شامكو في الفصل الحادي عشر. لقد تميز بنهاية الشركة كعمل كان يرغب الناس بالاستثمار فيها، وببداية لحكم طويل بالسجن لثلاثين شخصاً آخر من إداريي شامكو، وسبعة أعضاء من شركة المحاسبة لشركتنا، والمستخدم الذي كان يسقي نباتات المكتب لدينا والذي شُمل بطريقة مازالت غامضة بالنسبة لي بعض الشيء.

الفصل ١١ يشبه الإفلاس من حيث أنه النهاية من جهة ومن جهة أخرى البداية. إنه النهاية لأنه، من الناحية الفنية، الفصل الأخير من هذا الكتاب. ولكنه أيضاً البداية حيث أنه يتعامل مع «بداية جديدة»: حياة جديدة يباشرها الإداري المحكوم عندما يقرر أنه قد اجتاز كل ما يستطيع عمله في السجن، وأنه حان الوقت لينتقل إلى مرحلة أخرى.

هناك لحظة في سيرة حياة كل مدير مسجون عندما يعرف أن العمل الذي أسسه وراء القضبان ناضج ويمكن أن يستمر بدونه. رغم أنه من المؤلم الوصول الى هذه الحقيقة، ولكنها ليست مؤلمة قياساً بـ ٩٠٪ من الأشياء الأخرى التي سيتعرض لها وراء القضبان.

بالنسبة لي، أتت هذه اللحظة بعد ثلاثة أشهر من بدء عملي ببذلات السجن، سكامكو. كنت جالساً على قمة العالم، وكانت أرباحنا تعلو كثيراً، وكانت بذلات السجن التي نعمل بها تظهر بانتظام في صفحات الألبسة النسائية اليومية، وذكر الناس أن غينيس بالترو كانت تنوي أن تلبس واحدة أثناء حضور احتفالات التخرج الأكاديمية. وحتى الآن، بقدر ما كنت راضياً عن نجاحي، كنت أشعر على نحو غريب – أنني سجين ذلك النجاح. ولكن، حيث أني كنت أغذي ذلك النجاح، كنت

أفكر بنفسي، «هل حقيقةً أنا أريد أن أقوم بذلك العمل حتى ١٠سنوات من الآن ؟» سأكون قد حققت كل ما خططت لتحقيقه، سأكون قد حولت مائة مليون دولار إلى حسابي في المصرف في برمودا. كان علي أن أنظر إلى نفسي في المرآة وأعجب بها: كنت أقول سوف لن ألهو بعد الآن. وإذا لم يعد السجن بحد ذاته للهو، فإذاً.. ما هو الأمر؟

العامل المشجع الآخر في قراري بالاستمرار كان سلسلة من الرسائل المزعجة التي كنت قد استلمتها من كونسبيكوزا. برنامجها للتنس الخاص بها، تشاد، الذي كان رقماً صغيراً نسبياً في رسائلها القديمة لي، يبدو أنه يلعب الآن دوراً بارزاً في كل رسالة جديدة استلمتها. فجأةً، لم تستطع أن تكتب جملة واحدة من دون أن تقول «تشاد هذا» أو «تشاد ذاك»، وهذا ما زاد من قلقي. إذا كانت تعتمد كثيراً على برنامج التنس الضعيف لتحافظ على شركتها، فكان عليها أن تفتقدني كثيراً. إن المعاناة التي سببتها وزارة العدل بحكمها على هذه المرأة الشجاعة المعرضة للانتقاد أصابها بما يشبه فتح الجرح من جديد. ذكرني ذلك بأسبوعي الأول في لوماكس عندما صفعني سنيك على وجهي بالمجرفة. أقسمت أن أهرب من السجن وأعود إلى طرفها بأسرع ما يمكن. صحيح أننا سنكون هاربين، أنا وكونسبيكوزا، إلى الأبد هائمين في الطرق دون أن يكون لنا بيت نقصده. ولكن بما أن هذا النمط من الحياة كان ملائماً لشريكي السابق، فيكتور م. سوريان، فإنه سيكون ملائماً لي أيضاً، حيث أن فيكتور كان ما يزال حياً.

سيأتي يوم أيضاً تقرر فيه أنه حان الوقت لتهرب من السجن، أو تحصل على إطلاق سراح مشروط، كما يسمى هذا بالهروب أحياناً. ولكن دعنا نتذكر عادتنا في «وضع الأشياء أولاً بأول». قبل أن تتخلص من السجن، فكر:

«ماذا سيحصل لشركتي عندما أغادر؟»

بقدر ما يبدو ذلك مذهلاً، فإن الإداري السجين النموذجي الذي يخطط للهرب من السجن عادة يكرس ساعات من التفكير في تفاصيل اختراق النوافذ، والزحف من تحت الأسلاك الشائكة، وتجنب كلاب الحراسة القاتلة، بينما لا يكرس الكثير من التفكير بوضع خطة ناجحة بحيث تزدهر شركته في غيابه. ما كنت لأقع في ذلك الخطأ.

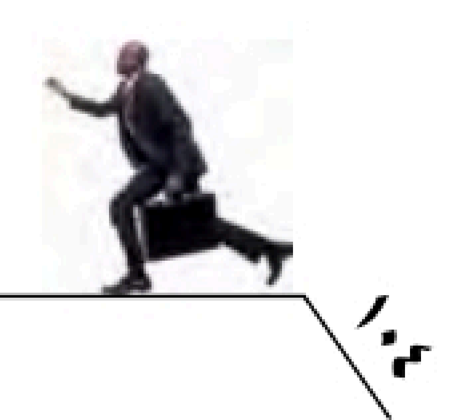
بعد تقييم «أحزمتي السوداء» السيغما ٦، اخترت موظفاً ليكون المدير التنفيذي بشكل مؤقت، مع تفاهم على أن يتولى إدارة سكامكو بشكل كامل حالما أكون خارج جدران السجن بأمان. بعد أسابيع من الحفر، أنشأ قادة فريقي السيغما ٦ نفقاً يوصل من تحت كافتيريا السجن إلى منطقة الأشجار خارج بوابة السجن مباشرة. بالعمل الجماعي على طريقة السيغما ٦، لم يكن هناك احتمال لأي خطأ. قريباً، سنكون أنا وكونسبيكوزا معاً مرة أخرى ونشرب نخب تشاد، وسيبدأ فصل جديد في حياتي العملية - أظن أنه سيكون الفصل ١٢ .

حتى السيغما ٦، كما علمت ليلة محاولة هربي من السجن، يستطيعون أن يهربوا الآن و فيما بعد.

في البداية، جرى كل شيء بانتظام، كنت قد وضعت توقيت الهروب بحيث يتزامن مع عرض فلم ستوارت الصغير ٢ لجميع السجناء في كافتيريا السجن. بعد مضي خمسة عشرة دقيقة على الفيلم، وعند الإشارة، وثب سنيك على قدميه وصرخ، «هذا الفيلم ليس جيداً مثل ستوارت الصغير ١». عندها بدأ نشيد راقص بشكل صاخب، ليؤمن لي الفرصة لرفع أربعة بلاطات كانت مفكوكة مسبقاً وأن أتدلى في النفق الذي كان زملائي السيغما ٦ قد جهزوه بإتقان من أجل خروجي.

بينما كنت أزحف خلال النفق الضيق نحو الحرية، استطعت بشق النفس أن أحتوي إثارتي التي أملتها في الحياة الديناميكية الجديدة التي كانت تنتظرني. ونظراً لكوني مديراً متهماً فحسب، جعلني ذلك مديراً سجيناً، وجعلني كوني مديراً سجيناً لأكون مديراً هارباً. صحيح أنه قد أكون ملاحقاً قانونياً بقية حياتي، ولكن في عصر التكنولوجيا اللاسلكية هذا، أن تكون هارباً ليس أمراً مستحيلاً. في الحقيقة، من دون مكتب أو عنوان أو حتى جواز سفر ساري المفعول، كان يعني أنني أستطيع السفر بشكل أخف، وأتحرك بشكل أسرع وأن أتفاعل مع التغيير بشكل أفضل من الأسلوب القديم - كمدير ملتزم غير مطلوب قانونياً. نعم، أن أكون مديراً سجيناً هارباً «أمر جديد»، بكل هذه الأفكار كنت أتابع سيري تحت الأرض.

وصلت إلى نهاية النفق ورفعت رأسي بقوة خارجاً، مستعداً لأستنشق النفس الفاخر الأول من حياتي الجديدة الممتعة. ولكن بعد ذلك، أعمي بصري ببريق ضوء مؤذ.



حشود الكاميرات من CNN و CNBC، ومحطات أخرى كانت قابعة بانتظاري، كما كانت أصواتهم وأصوات شاحناتهم المركونة على مسافة قصيرة. ثلاثة جواسيس من وزارة العدل انتزعوني من النفق وقيدوا معصمي على لوح للانتظار الباعث للاشمئزاز. لمرة أخرى أساق إلى السجن ولكن هذه المرة لم يضعوني في باص نقل إلى السجن. فقط أرجعوني مشياً إليه. إذا كنت تستطيع أن تفكر بشيء أكثر إذلالاً من هذا، فإنني أود أن أعرف ماذا يدور في عقلك.

فقط بعد مقابلتي مع آمر السجن استطعت أن أستجمع ما كان قد حصل. سنيك، الرجل الثاني الموثوق بالشركة، ارتد ليكون رخيصاً بنسبة أسطورية. فبدلاً من ابتلاعه وأكله كل الوثائق التي أطعمته إياها طوال الأسبوع الماضي، كان قد أخفى معظم الوثائق التي كانت تدينني في بذلته، والتي استثمرها فيما بعد بالمقايضة على إطلاق سراح مشروط. بتخطيطه، أخذت أمسية الشغب شكلاً من تمثيلية قصد منها أن أدخل في خدعة كانت تضمن إيقاعي في الشَّرَك. فبسبب زميلي السابق في الزنزانة، أطفئ اتقاد سكامكو تلك الليلة وأخذتني إلى الحضيض معها ما كان أقسى ذلك. كنت قد رأيت الخيانة في حياتي العملية من قبل، ولكن أبداً ليس من شخص مثل سنيك، الذي لم يحصل على درجة جامعية في إدراة الأعمال. ربما هذا هو سبب أن العديد من المديرين التنفيذيين يكرهون تسمية خليفة.

كما قلت من قبل، إن هذا – الفصل الحادي عشر، على مقربة من النهاية، ولكنه أيضاً على مقربة من البداية – بداية جديدة.



بعد يوم واحد من إغلاق سكامكو، أخبروني أنه سيتم نقلي إلى حياة جديدة، مع أنها ليست الحياة التي كنت قد أحلم بها وأنا آخذ طريقي ببطء في النفق. أرادوا أن يرسلوني إلى المكان حيث الدرجة القصوى من الأمن في كاليفورنيا، حيث يوضع الأشخاص الأعنف فقط. سوف يتم سجني في زنزانة منفردة، ومعزولة عن باقي نزلاء السجن، ومراقبة من قبل حراس وكاميرات مراقبة على مدار ٢٤ ساعة، سبعة أيام في الأسبوع.

أظن أن قصدهم من كل ذلك هو منعي من إنشاء شركة أخرى. إذا كان ذلك هو هدفهم، فأتمنى لهم التوفيق في ذلك. يمكنك أن تضع مديراً وراء القضبان، ولكنك لا تستطيع أن تضع القضبان حول عقله، وعقلي بدأ يعمل بوقت إضافي منذ هذا الوقت.

إذا استطعت بطريقة ما أن أقنع الحراس أن يلعبوا الكرة معي، ربما أجعلهم مساهمين من الفئة B، فأستطيع أن أستخدم كل كاميرات المراقبة تلك لتحول زنزانتي إلى آخر ما تحقق في استديو التلفاز. من دون وجود سقف فعلياً، أستطيع أن أنتج برنامجاً واقعياً عن حقيقة السجن ويمكن أن يقدم إلى شبكات البث والفضائيات حول العالم. كل ما في الأمر هو إنشاء خطة عمل، و هذه هي قوتي دائماً. الباقي مجرد تفاصيل، وحسب خبرتي، عادة تعتني التفاصيل بنفسها. كل ما أستطيع قوله هو، إنني فعلاً متقد الحماس.

حول المؤلف

آندي بوروفيتس كاتب ساخر في النيو يوركر، وكاتب مقالات عدد الأحد للإذاعة القومية العامة، ومبدع الموقع الساخر الفائز بالجوائز: BorowitzReport.com. إنه بريء من أي عمل واعتقاد خاطئين، ويتبرأ براءة كاملة من هذه الأعمال.